الانهيار الأخلاقي وزوال الأمم

مجلة إسلامية ثقافية شهرية تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية
العدد ٥٧٢ السنة الثامنة والأربعون - شعبان ١٤٤٠هـ
الثمن ٢ جنيهات

التوحيد

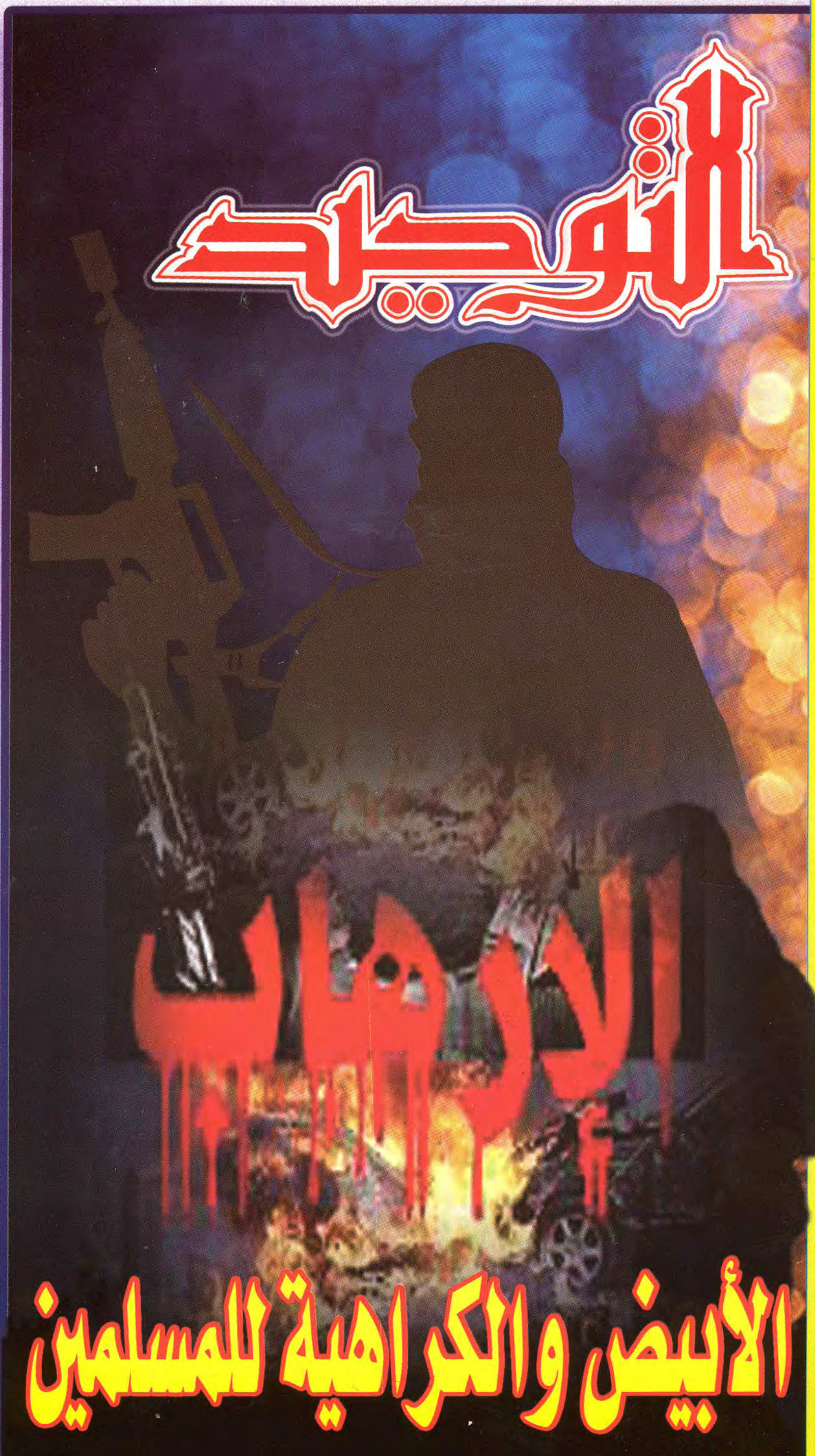

الإرهاب الأبيض والكراهية للمسلمين

علامات محبة الله تعالى للعبد

أحكام وحساب زكاة النشاط الصناعي

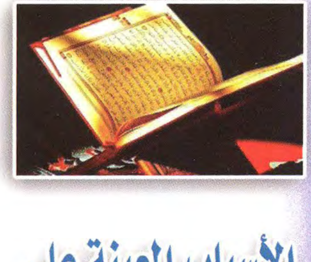

الأسباب المعينة على الارتقاء بالمشاعر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ ﴾

رئيس مجلس الإدارة
أ.د. عبد الله شاكر الجنيدي

جماعة أنصار السنة المحمدية

صاحبة الامتياز
جمعية أنصار السنة المحمدية

المشرف العام
د. عبد العظيم بدوي

اللجنة العلمية
جمال عبد الرحمن
معاوية محمد هيكل
د. مرزوق محمد مرزوق
محمد عبد العزيز السيد

إدارة التحرير ‖
٨ شارع قولة عابدين - القاهرة
ت: ٢٣٩٣٦٥١٧ - فاكس: ٢٣٩٣٠٦٦٢

المركز العام ‖
WWW.ANSARALSONNA.COM
هاتف: ٢٣٩١٥٥٧٦-٢٣٩١٥٤٥٦

البريد الإلكتروني ‖
MGTAWHEED@HOTMAIL.COM

رئيس التحرير ‖
GSHATEM@HOTMAIL.COM

قسم التوزيع والاشتراكات ‖
ت: ٢٣٩٣٦٥١٧
ISHTRAK.TAWHEED@YAHOO.COM

السلام عليكم

رفع الأعمال في شعبان

الإسراء والمعراج حق نؤمن به، وقد خَلَّد الله تعالى حادث الإسراء في سورة الإسراء، وخلَّد المعراج في سورة النجم، ويُجمع أهل العلم على أنه كان قبل الهجرة، ويرجحون أنه كان في ربيع الأول وليس في رجب، وفي الإسراء والمعراج رأى النبي صلى الله عليه وسلم من آيات ربه الكبرى، ولقد رأى أناسًا لهم أظافر من نحاس كالسكاكين، يخمشون بها وجوههم، فسأل عنهم فعرف أن هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويخوضون في أعراضهم، كما رأى ناسًا تُقْرَضُ شفاههم بمقاريض من نار، فقيل له: إن هؤلاء خطباء الفتنة الذين ينشرون الفتن بين الناس، ويقولون ما لا يفعلون، ويأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم أفلا يعقلون.

وهذه المشاهد للأسف يقع فيها كثير من الناس ممن ينتسبون إلى العلم والدعوة، فيخوضون في كل هذا ويحسبون أنهم مهتدون.

فيا أيها المسلم: إذا أردت أن يُرفع عملك إلى الله وأنت سليم اللسان والصدر فَلْتَتَرَفَّعْ عن مثل هذه المعاصي الخطيرة.

قال أسامة بن زيد رضي الله عنهما: لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يصوم من الشهر ما يصوم من شعبان، فسأل النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك، فقال: ذاك شهر يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان، وهو شهر تُرفع فيه الأعمال إلى رب العالمين عز وجل، فأحب أن يُرفع عملي وأنا صائم.

فاحرص على أعمالك يا أخي.

التحرير

مفاجأة كبرى

نقدم للقارئ الكريم كرتونة كاملة تحوي ٤٦ مجلداً
من مجلدات مجلة التوحيد عن ٤٦ سنة كاملة

مطابع الأهرام التجارية قليوب - مصر

رئيس التحرير:
جمال سعد حاتم

مدير التحرير الفني:
حسين عطا القراط

سكرتير التحرير:
مصطفى خليل أبو المعاطي

الإخراج الصحفي:
أحمد رجب محمد
محمد محمود فتحي

في هذا العدد

افتتاحية العدد: د. عبد الله شاكر ٢
الإرهاب الأبيض والكراهية للمسلمين: رئيس التحرير ٥
باب التفسير: د. عبد العظيم بدوي ٩
أحكام وحساب النشاط الصناعي: د. حسين حسين شحاتة ١٢
من أخلاق أهل القرآن: د. أسامة صابر ١٥
باب السنة: د. مرزوق محمد مرزوق ١٧
سلسلة العقول الفقهية ووظائفها: د. أحمد منصور سبالك ٢٠
درر البحار: علي حشيش ٢١
فقه المرأة المسلمة: د. عزة محمد رشاد ٢٣
مواقف من ساعة الاحتضار: د. صالح بن عبد الله بن حميد ٢٦
باب الفقه: د. حمدي طه ٢٩
الحياء وأثره في حياة الأمة: معاوية محمد هيكل ٣٢
واحة التوحيد: علاء خضر ٣٦
دراسات شرعية: د. متولي البراجيلي ٣٨
كيف يُعرَف الحق في أزمنة الفتن المزمنة: د. عماد علي عيسى ٤١
من الأحداث الهامة في حياة الأمة: عبد الرزاق السيد ٤٤
مهارات واجبة للدعاة: د. ياسر لمعي ٤٧
الانهيار الأخلاقي وزوال الأمم: جمال عبد الرحمن ٥٠
تحذير الداعية من القصص الواهية: علي حشيش ٥٣
قرائن اللغة والعقل والنقل: د. محمد عبد العليم الدسوقي ٥٧
علامات محبة الله تعالى للعبد: عبده أحمد الأقرع ٦١
فقر المشاعر: د. محمد إبراهيم الحمد ٦٥
إعلام العباد بما لا تأكله الأرض من الأجساد:
المستشار أحمد السيد علي ٦٧
نظرات في كتاب رسالة إلى أهل الثغر: محمد عبد العزيز ٦٩

الاشتراك السنوي

١- في الداخل ١٠٠ جنيه توضع في حساب المجلة رقم/ ١٩١٥٩٠ ببنك فيصل الإسلامي مع إرسال قسيمة الإيداع على فاكس المجلة رقم/ ٠٢٢٣٩٣٠٦٦٢

٢- في الخارج ٤٠ دولارا أو ٢٠٠ ريال سعودى أو مايعادلهما

ترسل القيمة بسويفت أو بحوالة بنكية أو شيك على بنك فيصل الإسلامي فرع القاهرة . باسم مجلة التوحيد . أنصار السنة حساب رقم /١٩١٥٩٠

ثمن النسخة

مصر ٣٠٠ قرش ، السعودية ٦ ريالات ، الإمارات ٦ دراهم ، الكويت ٥٠٠ فلس، المغرب دولار أمريكي ، الأردن ٥٠٠ فلس، قطر ٦ ريالات ، عمان نصف ريال عماني ، أمريكا دولاران ، أوروبا ٢ يورو

١٠٥٠ جنيهاً ثمن الكرتونة للأفراد والهيئات والمؤسسات داخل مصر و ٣٠٠ دولاراً خارج مصر شاملة سعر الشحن .

منفذ البيع الوحيد
بمقر مجلة التوحيد
الدور السابع

افتتاحية العدد

أهمية اتباع النبي صلى الله عليه وسلم

الرئيس العام

د. عبد الله شاكر

الحمد لله القائل في محكم التنزيل: « هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ » (التوبة:٣٣)، والصلاة والسلام على من أرسله ربه بشيرًا ونذيرًا، وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا، وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعدُ:

ففي شهر شعبان من كل عام يقوم بعض الناس بعبادات فيه من صلاة، وقيام، وصيام، ودعاء، دون دليل شرعي صحيح ثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك، وقد تناول العلماء والمحققون بيان ذلك، وسبق أن تحدثت عن ذلك على صفحات هذه المجلة الغراء، ومن باب النصح والتذكير سأتكلم في هذا اللقاء عن أهمية اتباع النبي صلى الله عليه وسلم فأقول وبالله التوفيق:

إن الله تبارك وتعالى بعث نبيه صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين وحجة على الخلائق أجمعين، وافترض طاعته في كتابه كما جاء ذلك في مواضع متعددة، منها قوله تعالى: « قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ » (آل عمران:٣١)، قال ابن كثير رحمه الله: «هذه الآية الكريمة حاكمة على كل مَن ادَّعى محبة الله تعالى وليس هو على الطريقة المحمدية، فإنه كاذبٌ في دعواه في نفس الأمر، حتى يتَّبع الشرع المحمدي والدين النبوي في جميع أقواله، وأفعاله، وأحواله». (تفسير ابن كثير ١/ ٤٩٤).

وقد أفادت الآية أن اتباع النبي صلى الله عليه وسلم والسير على منهاجه وهديه دليلٌ على صدق العبد في محبته لربِّه، كما أفادت أن اتباع النبي صلى الله عليه وسلم من أسباب محبة الله للعبد ومغفرة ذنوبه، كما قرن الله في كتابه بين طاعته ومحبته وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم ومحبته في أكثر من موطن؛ قال الله تعالى: « قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ » (آل عمران:٣٢)، وقال تعالى: « يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا » (النساء:٥٩).

وأخبر الله في كتابه أن هداية العبد متوقفة

على طاعته وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: «قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟ ۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ» (النور:٥٤).

وقد عظّم القرآن الكريم النبي صلى الله عليه وسلم وأمَر بالأخذ بكل ما جاء به، والانتهاء عما نهى عنه سبحانه وتعالى، قال سبحانه: «وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟» (الحشر:٧)، وقد أخذ العلماء من هذه الآية أن العملَ بما جاء الرسول صلى الله عليه وسلم عملٌ بالقرآن.

قال القاسمي رحمه الله: «قال العلماء: وكل ما ثبت عنه صلى الله عليه وسلم يصح أن يقال: إنه في القرآن؛ أخذًا من هذه الآية». (تفسير القاسمي ١٦/٥٧٣٩).

وللشيخ عطية سالم رحمه الله كلام دقيق وجميل حول هذه الآية يقول فيه: «الواقع أن العمل بهذه الآية الكريمة هو من لوازم نطق المسلم بالشهادتين؛ لأن قوله: أشهد أن لا إله إلا الله، اعترافٌ لله تعالى بالألوهية وبمستلزماتها، ومنها إرسال الرسل إلى خلقه، وإنزال كتبه، وقوله: أشهد أن محمداً رسول الله، اعترافٌ برسالة محمد صلى الله عليه وسلم من الله لخلقه، وهذا يستلزم الأخذ بكل ما جاء به هذا الرسول الكريم من الله سبحانه وتعالى، ولا يجوز أن يعبد الله إلا بما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا يحق له أن يعصي الله بما نهاه عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهي بحق مستلزمة للنطق بالشهادتين». (تتمة أضواء البيان ج٨/ص٦٧).

الرسول صلى الله عليه وسلم أفضل أسوة وقدوة

وقد أخبرنا ربنا في كتابه أن إمامنا وقدوتنا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: «لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا» (الأحزاب:٢١).

وبناءً على هذه الآية أقول: إن الواجب على كل مؤمن بكتاب الله وبرسوله صلى الله عليه وسلم أن يجعل الرسول صلى الله عليه وسلم أسوته وقدوته، وألا يخرج بحال عن قوله وفعله وسائر ما جاء به، وأن ينشرح صدره بكل ما أخبر به صلى الله عليه وسلم ويرضى ويسلم لحكمه، كما قال: «فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا» (النساء:٦٥).

قال الشيخ محمد رشيد رضا رحمه الله: «أقسم تعالى بأن أولئك الذين رغبوا عن التحاكم إليه صلى الله عليه وسلم وأمثالهم، وهم من المنافقين الذين يزعمون الإيمان زعمًا كما تقدم لا يؤمنون إيمانًا صحيحًا حقيقيًّا، وهو إيمان الإذعان النفسي - إلا بثلاث؛ الأولى: أن يُحَكِّمُوا الرسول صلى الله عليه وسلم فيما شجَر بينهم.. والثانية: قوله: «ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجًا مما قضيت». والمؤمن الكامل الإيمان ينشرح صدره لحكم الرسول صلى الله عليه وسلم من أول وهلة لعلمه أنه الحق، وأن الخير له فيه، والسعادة في الإذعان له. والثالثة: قوله تعالى: «ويسلموا تسليما» التسليم هنا: الانقياد بالفعل». (انظر: تفسير القرآن الحكيم ٥/٢٣٦).

وقد كان السلف رضوان الله عليهم يحثون الأمة ويوصونها باتباع السنة، فهذا عبد الله بنُ مسعود يقول: «اتَّبِعُوا ولا تبتدعوا فقد كُفِيتُمْ». (رواه الدارمي في مقدمة سننه ١/٨٠).

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى رجل يسأله عن القَدَر: «أما بعد: أوصيكَ بتَقْوَى الله وَالاقْتِصَاد في أمْره وَاتِّبَاعِ سُنَّة نَبِيِّه صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ وَتَرْك مَا أحْدَثَ المُحْدِثُونَ بَعْدَ مَا جَرَتْ به سُنَّتُهُ وَكُفُوا مُؤْنَتَهُ؛ فَعَلَيْكَ بلُزُوم السُّنَّة فَإنَّهَا لَكَ -بإذْن الله- عصْمَةٌ، ثُمَّ اعْلَمْ أنَّهُ لَمْ يَبْتَدعْ النَّاسُ بدْعَةً إلَّا قَدْ مَضَى قَبْلَهَا مَا هُوَ دَليل عَلَيْهَا أوْ عبْرَةٌ فيهَا؛ فَإنَّ السُّنَّةَ إنَّمَا سَنَّهَا مَنْ قَدْ عَلمَ مَا في خلَافهَا منْ الْخَطَأ وَالزَّلَل وَالْحُمْق وَالتَّعَمُّق؛ فَارْضَ لنَفْسكَ مَا رَضيَ به الْقَوْمُ لأنْفُسهمْ فَإنَّهُمْ عَلَى علْمٍ وَقَفُوا، وَببَصَرٍ نَافذٍ كَفُّوا، وَهُمْ عَلَى كَشْف الْأُمُور كَانُوا أقْوَى، وَبفَضْل مَا كَانُوا

فيه أَوْلَى». (سنن أبي داود ١٩/٥).

وروى الإمام أحمد بسنده عن الحسن البصري أنه قال: "اعرفوا المهاجرين بفضلهم، واتبعوا آثارهم، وإياكم وما أحدث الناس في دينهم، فإنّ شر الأمور المحدثات". (انظر كتابه الزهد ص٣٣٤).

التحذير من مخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم

وقد حذَّر الله تعالى في كتابه من مخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم واتباع غير سبيل المؤمنين، فقال تعالى: « وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا » (النساء:١١٥)، وهذه الآية فيها وعيد شديد كما هو ظاهر لمن شاقَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم واتَّبع غير سبيل المؤمنين، وقال تعالى: « فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ » (النور:٦٣)، قال ابن كثير رحمه الله: «وقوله: «فليحذر الذين يخالفون عن أمره» أي: عن أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو سبيله ومنهاجه وطريقته وسنته وشريعته، فتوزن الأقوال بأقواله وأعماله؛ فما وافق ذلك قُبل، وما خالفه فهو مردود على قائله وفاعله كائنًا من كان، كما ثبت في الصحيحين وغيرهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رَدٌّ». أي: فليحذر وليخش من خالف شريعة الرسول ظاهرًا وباطنًا، «أن تصيبهم فتنة» أي: في قلوبهم، من كفر أو نفاق أو بدعة، «أو يصيبهم عذاب أليم» أي: في الدنيا، بقتل، أو حد، أو حبس، أو نحو ذلك». (تفسير ابن كثير ٤٢٢/٣).

وقد فهم الصحابة رضوان الله عليهم من هذه الآية ذلك، كما روى أحمد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: تَمَتَّعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ (أي: تمتع بالعمرة إلى الحج)، فَقَالَ عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ: نَهَى أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ عَنِ الْمُتْعَةِ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: مَا يَقُولُ عُرَيَّةُ؟ قَالَ: يَقُولُ: نَهَى أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ عَنِ الْمُتْعَةِ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: أُرَاهُمْ سَيَهْلِكُونَ أَقُولُ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَيَقُولُ: نَهَى أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ؟». (المسند ٣٣٧/١، رواه الخطيب البغدادي).

وفيه أن عروة قال لابن عباس: هما والله كانا أعلم بسُنَّة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأتبع لها منك». وعلَّق الخطيب على ذلك بقوله: قلت: قد كان أبو بكر، وعمر على ما وصفهما به عروة إلا أنه لا ينبغي أن يُقلِّد أحدٌ في ترك ما ثبتت به سُنَّة رسول الله صلى الله عليه وسلم. (انظر كتابه الفقيه والمتفقه ص١٤٥).

وقال الشيخ محمد بن عثيمين رحمه الله: «أبو بكر، وعمر أفضل هذه الأمة، وأقربها إلى الصواب، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إن يطيعوا أبا بكر وعمر يرشدوا». رواه مسلم، وقال صلى الله عليه وسلم: «عليكم بسُنَّتي وسُنَّة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ». ولم يُعرَف عن أبي بكر وعمر أنهما خالفا نصًّا برأيهما، فإذا كان قول أبي بكر وعمر إذا عارض الإنسان بقولهما قول الرسول صلى الله عليه وسلم فإنه يوشك أن تنزل عليه حجارة من السماء، فما بالك بمن يعارض قوله صلى الله عليه وسلم ممن هو دون أبي بكر وعمر؟ وبعض الناس يرتكب خطأً فاحشًا إذا قيل له: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم... قال: لكن في الكتاب الفلاني كذا وكذا، فعليه أن يتقي الله الذي قال في كتابه: «وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ» (القصص:٦٥)، ولم يقل: ماذا أجبتم فلانًا وفلانًا. (القول المفيد على كتاب التوحيد ١٥١/٢).

وبناءً على ما سبق أقول: إن أيّ خلاف يقع في الأحكام الشرعية، فإن مرده إلى الكتاب والسنة، فما وافقهما قُبل وما خالفهما رُدَّ، ولا يجوز الاحتجاج بخلاف الفقهاء في ترك العمل بالنصوص الشرعية، وأئمة الفقهاء-رحمهم الله تعالى- متفقون على أن النصوص هي الحاكمة على أقوالهم، وأن أقوالهم لا يُؤخَذ بها إذا خالفت النصوص.

أسأل الله تعالى أن يرزقنا اتباع سنته والسير على منهاجه، والحمد لله رب العالمين.

الإرهاب الأبيض والكراهية للمسلمين

رئيس التحرير
جمال سعد حاتم
GSHATEM@HOTMAIL.COM

الحمد لله الذي منَّ علينا بنعمة الإسلام، وكفى بها نعمة، وبعدُ:

فرب العزة سبحانه يفعل ما يشاء، ويسلط من يشاء على من شاء، بما له من الحكمة، وسبق من الكلمة؛ إما عقوبة وعذابًا، وإما تمحيصًا وابتلاءً واختبارًا، قال عز وجل: «وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَٰتَلُوكُمْ» (النساء:٩٠)، فمآسي أمتنا كثيرة، وجراحاتها مؤلمة وغائرة، وما ذلك إلا لأن أعداء المسلمين قد نجحوا في تقطيع أواصرنا، وتفريق كلمتنا، وتشتيت اهتماماتنا، فأصبحت تتداعى علينا الأمم من كل فج عميق، كما تتداعى الأكلة إلى قصعتها.

فبالأمس القريب شاهدنا وشاهد العالم أجمع الداعشي الأبيض اليميني المتطرف الأسترالي «برينتون تارنت» البالغ من العمر ثمانية وعشرين عامًا يرتكب مجزرة بشعة في مسجدين في نيوزيلاندا؛ أحدهما مسجد النور الشهير في وسط مدينة «كرايستشيرش» في هجوم مذاع على العالم استمر لمدة ١٧ دقيقة، فقتل ٥١ مسلمًا، وجرَح مثلهم، كل جنايتهم أنهم مسلمون، وحدث ذلك أثناء أداء صلاة الجمعة، منتهكًا ومتعديًا على كل الحرمات للمصلين في المساجد، وذلك اتساقًا مع تصاعد أصوات اليمين المتطرف في أوروبا بعد تولي ترامب سدة الحكم في الولايات المتحدة.

واستتباعًا لسياسة ترامب اليمينية المتطرفة والمتغطرسة، يعطي من لا يملك لمن لا يستحق؛ فيصدر ترامب اعترافًا رسميًا منحة لرئيس الكيان الصهيوني نتنياهو ومساعدة له في حملته الانتخابية بالاعتراف رسميًا بسيادة إسرائيل على الجولان في مسرحية هزلية رفضها العالم، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

الإرهاب الأبيض والكراهية للمسلمين

إن تعاقب الأحداث وترادفها وتتابع بعضها لبعض لهو من سمات هذه الفترة من الزمن الحاضر الذي

بَلَغت فيه الحضارة المادية أوجها، والغليان المعرفي والتقني قمته، «وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ» (النحل:٨).

ولقد صار من سُرعة الأحداث والمدلهمات أن رياحها لا تتيح لأي رماد أن يجثم مكانه، ولا لأي جمرة أن تنطفئ.. فتتراكم التداعيات بعضها على بعض؛ ليبحر سقف الهدوء، وتُقبل فُلول الطوارق والمفاجآت في عسعسة الليل أو تنفس الصبح.

ولقد كانت المذبحة التي وقعت في مسجدين في نيوزيلاندا في ١٥ مارس الماضي تكشف الكثير عما وراء تلك الفعلة الشنعاء التي راح ضحيتها ٥١ مسلمًا، وجرح وأصيب خمسون آخرون؛ حيث دشّن المجرم الذي ارتكب المجزرة ضد المسلمين المصلين بيانًا مطولاً يُعلن فيه فلسفة الإرهاب الأبيض؛ حيث تجاوز نطاقه أوروبا وحدود البحر الأبيض المتوسط ليصل إلى نيوزيلاندا الواقعة بالجهة الجنوب الغربي من المحيط الهادي.

ويأتي هذا الهجوم الذي نفذه الإرهابي اليميني المتطرف بيرينتون تارانت في سياق تغذية الكراهية بالغرب والذي يقوم على أيديولوجية تكرست منذ سنوات تعادي الآخر، المختلف دينيًّا وعرقيًا وخاصة المسلمين، وتحمِّله مسئولية المشكلات المجتمعية التي تعانيها الدول الغربية، وعلى الرغم من تعدد الجرائم الإرهابية الموجهة ضد المسلمين بالغرب، فإن هذه المذبحة تؤشر لنقاط ودلالات خطيرة.

فقد بثّ الإرهابي الأسترالي لقطات الهجوم الذي نفذه على مسجد النور على الفيسبوك، مستعينًا بكاميرا مثبتة فوق رأسه عندما كان يُطلق النار على الرجال والأطفال والنساء أثناء صلاة الجمعة، ما يعني أنه يوجه رسالة للمسلمين الذين يعيشون خارج بلدانهم في الغرب، وبقية العالم، وليس فقط داخل نيوزيلاندا.

وقد جاءت الجريمة بوجهها العنصري لتعبر عن تيار الكراهية الذي يدعو إلى العنف والعداء تجاه أشخاص أو مجموعات لها سمات عرقية أو دينية أو ثقافية، فقد استدعى هذا المجرم عددًا من الطقوس بدت كما لو كانت نوعًا من الاحتفاء بعملية القتل وفقًا للفيديو المسجل له؛ فقد كان يستمع إلى أغنيتين إحداهما «صربيا قوية» ذات المدلولات العنصرية المرتبطة بالصراع البوسني الصربي الذي راح ضحيته آلاف المسلمين، والأغنية الثانية كانت «نارفير» التي تشير إلى العنف.

ويُعبر الحادث الإرهابي البغيض عن إرهاب أبيض يعلن عن نفسه بوجوهٍ عديدة، فقد كتب منفذ الهجوم الإرهابي بيانًا من (٧٤) صفحة نشره على الإنترنت قبل تنفيذ العملية، يتبنى أطروحة النقاء العنصري، واصفًا نفسه بأنه رجلٌ أبيض عادي، قرر أن يتخذ موقفًا ليضمن مستقبلاً لقومه، وأوضح في بيانه أن من أسباب ارتكابه المجزرة ذلك التزايد الكبير لعدد المهاجرين الذين اعتبرهم محتلين وغزاة، قائلاً: «إن أرضنا لن تكون يومًا للمحتلين المهاجرين، وإن هذا الوطن الذي كان للرجال البيض، سيظل كذلك..».

وهذا التوجه لا يقتصر على الإرهابي منفذ المجزرة فقط، وإنما يشكل خلفية بعض السياسيين، فبعد العملية التي قام بها ضد المسلمين خرج سيناتور أسترالي يدعى «فرازر أننج» يبرِّر الهجوم ويرجعه إلى قانون الهجرة النيوزيلاندي الذي أتاح الفرصة للمسلمين أن يهاجروا إليها!!

كراهية الإرهاب اليميني الأبيض للمسلمين

إن هذا الإرهاب الأبيض يستند إلى مرجعية عنيفة من الكراهية ضد المسلمين تضمنتها دروس التاريخ في المدارس الغربية، فقد تبنى هذا الإرهاب خطابًا يستعيد فيه أحداث التاريخ

لتأكيد أن ما قام به بمنزلة ثأرٍ للمجتمعات الغربية؛ حيث نشر الإرهابي صورًا لبندقيته مصحوبة بعبارات تضمنت هجومًا على الدولة العثمانية، ومنها: (Turcofagos) وتعني كل الأتراك، و(١٦٨٣م فيينا) في إشارة إلى تاريخ حصار فيينا الذي نفذه السلطان العثماني «سليمان القانوني»، وتاريخ «١٥٧١م» في إشارة إلى معركة «ليبانتو» البحرية التي انتهت بانتصار الصليبيين.

وتُعد تلك الكراهية للإسلام والمسلمين نتاجًا لإسهام ساسة الحاضر والمتكسبين من خلق عداوتهم لأجل اعتماد ميزانيات ضخمة لمحاربته، ولضمها في تجارة الحرب، وما تشمله من صناعة الأسلحة، فبعد سقوط العدو الشيوعي الذي كانت تستهدفه هذه الصناعة، ثم اختراع العدو البديل، وهو الإسلام، حتى يستمر بزنس الحرب، ولكل ذلك فنحن أمام إرهاب أبيض ضد المسلمين، ولن تكون مذبحة نيوزيلاندا هي النهاية، ما لم يحدث تحرك قوي على المستوى العالمي، لإصدار تشريع قوي يجرِّم كل أشكال الكراهية والتعبئة والإرهاب ضد أتباع الأديان والثقافات والأعراف الأخرى.

مجزرة نيوزيلاندا .. ومن المحن تأتي المنح

إن الكوارث والابتلاءات التي تحل بالمسلمين لها حكم متعددة، وتكشف عن أمور كثيرة، فيجب ألا تمر علينا تلك الكوارث دون أن نوظفها أعظم التوظيف في الاستفادة من جميع جوانبها، فيُحدث ذلك لدينا عظة وتذكرًا وخوفًا من الله، ورغبة في المسارعة في عمل الخيرات، كما تحدث لدينا الرغبة الأكيدة في الأخذ بالأسباب التي كان إهمال العمل بها مدعاة لزيادة الدمار الحالي بمجتمعات المسلمين، ودائمًا نوقن بأن المنح تأتي من المحن، يقول الحق سبحانه وتعالى في محكم آياته: « لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ » (النور:١١)، ولا تنظروا إلى سوء الحال، بل انظروا إلى حسن المآل.

فقد أظهر شعب نيوزيلاندا عقب المذبحة سلوكًا متعاطفًا متآخيًا متضامنًا متآزرًا، بداية من مشهد احتضان رئيسة الوزراء جاسنيدا أوديرن لفتيات مسلمات وهي تَتَشَّحُ بالسواد وتضع غطاء رمزيًا على رأسها، إلى مشهد عروسين يضعان زهور عرسهما على عتبة المسجد الذي وقع فيه الحادث وجرت فيه المذبحة، إلى جلسة البرلمان النوزيلاندي التي تبدأ بتلاوة آيات من الذكر الحكيم القرآن العظيم.

ورأينا رئيسة الوزراء «المسيحية» ترتدي غطاء رأس المسلمات بل كان من أعظم ما حدث انطلاق الأذان في كل ساحات نيوزيلاندا الكبرى، وكأن النيوزيلانديين أرادوا إخبار العالم أجمع أنهم ليس بينهم وبين الإسلام عداوة؛ كما يحاول المتطرفون قساة القلب وميتو الضمير أن يُشيعوا، فليت الناس في أوروبا وأمريكا يسمعون!! ومن المحن تأتي المنح.

المسلمون في نيوزيلاندا وكيف يعيشون

تعيش في نيوزيلاندا نسبة قليلة من المسلمين؛ حيث تصل إلى ١٪ من تعداد السكان البالغ خمسة ملايين نسمة، فقد وصل عدد المسلمين إلى خمسين ألفًا في آخر إحصاء عام ٢٠١٣م.

وأشار بحث صادر عن جامعة فكتوريا في ويلنجتون إلى أن نسبة المسلمين في نيوزيلادندا هي الأكثر نموًّا؛ إذ زاد عددهم بين عامي ١٩٩١م، ٢٠٠٦م ستة أضعاف، بالمقارنة مع نسبة كبيرة من المسيحيين والهندوس والبوذيين تعيش في نيوزيلاندا.

وتعتبر الجالية الإسلامية من أكبر الجاليات نموًّا في العقود الأخيرة حيث كان عدد المسلمين هناك نحو ٢٠٠ شخص فقط عام ١٩٥٠م، ويتركز المسلمون في مدينة أوكلاند، جنوب

الجزيرة الشمالية، وفي جنوب شرقي الجزيرة الجنوبية في مدينة «كريست تشيرش» التي وقع فيها الهجوم، وتم إنشاء أول مسجد في أوكلاند عام ١٩٧٠م، ويوجد مركز إسلامي بالعاصمة النيوزيلاندية «ويليلجتون» ويرأسه المصري الشيخ محمد حسين زوادة، كما يوجد مركزان آخران أحدهما تابع لرابطة العالم الإسلامي في مدينة «كوست تشرين» الذي تعرض للهجوم.

كما توجد عدد من الجمعيات الإسلامية المعترف بها هناك تبلغ سبع جمعيات، وتوجد مدرسة إسلامية للبنات، ومدرسة لتحفيظ القرآن الكريم تتبع الجالية الصومالية.

ترامب يضرب بقرارات الشرعية الدولية عرض الحائط

عودًا على بدء؛ فقد تعوّد ترامب ومنذ حملته الانتخابية أن يشن حملاته المتوالية على العرب والمسلمين، فبعد قراره المخزي الذي جاء حسب وعوده الحمقاء لنتنياهو وليهود إسرائيل بالاعتراف بالقدس عاصمة لإسرائيل، ونقل السفارة الأمريكية إليها، رغم أن الإدارات الأمريكية المتعاقبة كانت تؤجل تنفيذ قرار الكونجرس بهذا الصدد، لتترك أمر القدس للتفاوض في أي تسوية سلمية للصراع العربي الإسرائيلي.

ولقد منحت إدارة ترامب تل أبيب ما لم تمنحه أي إدارة أمريكية سابقة، وأصبح واضحًا أنه يعتمد في تعامله في قضايا الشرق الأوسط على الانحياز المطلق الكامل لإسرائيل على حساب الحقوق العربية، وهو ما يتطلب موقفًا عربيًّا جماعيًّا حاسمًا في هذا الموضوع.

وتفاجأ العالم أجمع بقرار آخر يميني أبيض متطرف بصدور قرار أمريكي بالاعتراف بسيادة إسرائيل على الجولان العربية المحتلة منذ عام ١٩٦٧م، فكيف يكون هذا العبث؟!

جاء هذا القرار مساندة لنتنياهو في حسم المعركة الانتخابية المقبلة، في صورة فجة حيث أعطى من لا يملك لمن لا يستحق.

وبرغم أن هضبة الجولان محتلة بالفعل منذ عام ١٩٦٧م، وتبسط إسرائيل كقوة احتلال سلطاتها عليها، فإن اعتراف ترامب رسميًّا بالسيادة الإسرائيلية على الهضبة يمثل تطورًا خطيرًا؛ لأنه يكرس لوضع دائم، ويمثل انتهاكًا صريحًا لقرارات الشرعية الدولية، ويؤسس لعالم من الفوضى وفرض الأمر الواقع بالقوة، وهو ما يخالف الأسس التي قامت عليها الأمم المتحدة.

والغريب أن قرار مجلس الأمن الذي صدر عام ١٩٨١م بإجماع كل الدول الأعضاء بالمجلس بمن فيهم الولايات المتحدة الأمريكية والذي يرفض بشكل مطلق قرار حكومة الاحتلال الإسرائيلي وإجراءاته التعسفية بخصوص الجولان، ويعتبره باطلاً ولاغيًا ولا أثر له قانونًا، أي أن ترامب يتراجع حتى عن المواقف الأمريكية الثابتة في المحافل الدولية، وليس هذا هو التراجع الأخير لترامب، فهذا هو ترامب! وتلك هي أمريكا!

وبرغم كل ما وقع وما سوف يقع للمسلمين في أنحاء المعمورة، فإن المسلمين لا بد أن يثقوا في وعد الله ونصره، ويعلموا أن مع العسر يسرًا إذا رجعوا إلى دين ربهم واستقاموا عليه، فإياكم واليأس والإحباط، وإياكم والتهور والطيش والاستعجال، فدين الله غالب، ووعد الله متحقق ولا بد، ولكن لله سنن كونية، « وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ » (الحج:٤٠)، وقال تعالى: « وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًاۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔاۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ » (النور:٥٥).

نسأل الله تعالى أن يعز الإسلام والمسلمين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

سُورَةُ الْفَتْحِ

الحلقة الثالثة

قال تعالى: «إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢﴾ وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴿٣﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا »: (الفتح :١-٤)

إعداد د. عبد العظيم بدوي

قَوْله تَعَالَى: (إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا) فَتْحُ الْبَلَد عبارَةٌ عَن الظَّفْر به عُنْوَةً أَوْ صُلْحًا، بحرَاب أَوْ بدُونه، فَإِنَّهُ مَا لَمْ يُظْفَرْ به مُنْغَلقٌ، مَأْخُوذٌ منْ فَتْح بَاب الدَّار، وَإسْنَادُهُ إلَى نُون الْعَظَمَة لاسْتنَاد أَفْعَال الْعبَاد إلَيْه تَعَالَى خَلْقًا وَإيجَادًا، وَفيه منَ الْفَخَامَة الْمُنْبئَة عَنْ عَظَمَة شَأْن الْمُخبر جَلَّ جَلالُهُ وَعَزَّ سُلْطَانُهُ مَا لا يَخْفَى. (إرشاد العقل السليم ٦/٩٧).

وَالْمُرَادُ بِالْفَتْح صُلْحُ الْحُدَيْبيَة، وَمَعْنَى الْوَصْف: «فَتْحًا مُبينًا»: أَيْ بَيِّنًا ظَاهرًا. وَذَلكَ لأَنَّ الْمَقْصُودَ فِي فَتْح بُلْدَان الْمُشْركينَ إعْزَازُ دين الله، وَانْتصَارُ الْمُسْلمينَ، وَهَذَا حَصَلَ بذَلكَ الْفَتْح. (تيسير الكريم الرحمن: ٧/٩٢).

حَاجَةُ الدَّعْوَة إلَى الأَمْن وَالأَمَان:

قَالَ الزُّهْرِيُّ رَحمَهُ الله: لَقَدْ كَانَ يَوْمُ الْحُدَيْبيَة أَعْظَمَ الْفُتُوح، ذَلكَ أن النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم جَاءَ إلَيْهَا فِي أَلْف وَأَرْبَعمائَة، فَلَمَّا وَقَعَ صُلْحٌ مَشَى النَّاسُ بَعْضُهُمْ فِي بَعْض، أَيْ تَفَرَّقُوا فِي الْبلاد فَدَخَلَ بَعْضُهُمْ أَرْضَ بَعْض منْ أَجْل الأَمْن بَيْنَهُمْ، وَعَلمُوا وَسَمعُوا عَن الله فَمَا أَرَادَ أَحَدٌ الإسْلامَ إلَّا تَمَكَّنَ منْهُ، فَمَا مَضَتْ تلْكَ السَّنَتَان إلَّا وَالْمُسْلمُونَ قَدْ جَاؤُوا إلَى مَكَّةَ فِي عَشَرَة آلاف.

وَفِي روَايَة: فَلَمَّا كَانَت الْهُدْنَةُ أَمنَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا فَالْتَقَوْا وَتَفَاوَضُوا الْحَديثَ وَالْمُنَاظَرَةَ فَلَمْ يُكَلَّمْ أَحَدٌ يَعْقلُ بالإسْلَام إلَّا دَخَلَ فيه. (معالم التنزيل ٥/١٦٦، التحرير والتنوير ٢٦/ ١٤٥).

فَالدَّعْوَةُ تَنْتَشرُ فِي الأَمْن أَكْثَرَ منْهَا فِي الْخَوْف، وَتَنْتَشرُ فِي السِّلْم أَكْثَرَ منْهَا فِي الْحَرْب، وَلذَلكَ كَانَ الإسْلَامُ دينَ السَّلَام، دَعَا أَتْبَاعَهُ إلَى قَبُول الدَّعْوَة إلَى السِّلْم بَعْدَ نُشُوب الْحَرْب، فَقَالَ تَعَالَى: «وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ» (الأنفال: ٦١)، ثُمَّ بَيَّنَ للنَّبيِّ صلى الله عليه وسلم أَنَّهُ يَنْبَغي أَلَّا يَنْشَغلَ بنَوَايَا الْمُحَاربينَ الْخَبيثَة، فَلَا يَمْتَنعُ منْ إجَابَتهمْ إلَى السِّلْم مَخَافَةَ الْخَديعَة فَقَالَ تَعَالَى: «وَإِن يُرِيدُوٓا۟ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ» (الأنفال: ٦٢).

منْ فَضَائل النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم وخصائصه:

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: «ليَغْفرَ

لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ»:

اللَّامُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: «لِيَغْفِرَ» هِيَ لَامُ كَيْ، لَكِنَّهَا تُخَالِفُهَا فِي الْمَعْنَى، وَالْمُرَادُ هُنَا أَنَّ اللَّهَ فَتَحَ لَكَ لِكَي يَجْعَلَ ذَلِكَ أَمَارَةً وَعَلَامَةً لِغُفْرَانِهِ لَكَ، فَكَأَنَّهَا لَامُ صَيْرُورَةٍ، وَلِهَذَا قَالَ عليه السلام: ((لَقَدْ أُنْزِلَتْ عَلَيَّ اللَّيْلَةَ سُورَةٌ لَهِيَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ)). (صحيح البخاري ٤١٧٧).

وَقَالَ الطَّبَرِيُّ وَابْنُ كَيْسَانَ رَحِمَهُمَا اللَّهُ: الْمَعْنَى: إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ لِيَغْفِرَ لَكَ، وَجَعَلَا هَذِهِ الْآيَةَ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: « إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا » (النصر: ١-٣).

قَالَ الْقَاضِي أَبُو مُحَمَّدٍ: وَهَذَا ضَعِيفٌ مِنْ وَجْهَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّ سُورَةَ النَّصْرِ إِنَّمَا نَزَلَتْ فِي آخِرِ مُدَّةِ النَّبِيِّ عليه السلام نَاعِيَةً لَهُ نَفْسَهُ، حَسْبَمَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنه عِنْدَمَا سَأَلَهُ عُمَرُ عَنْ ذَلِكَ.

وَالْآخَرُ: أَنَّ تَخْصِيصَ النَّبِيِّ عليه السلام بِالتَّشْرِيفِ كَانَ يَذْهَبُ، لِأَنَّ كُلَّ أَحَدٍ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ هُوَ مُخَاطَبٌ بِهَذَا الَّذِي قَالَ الطَّبَرِيُّ، أَيْ سَبِّحْ وَاسْتَغْفِرْ لِكَيْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكَ، وَلَا يَتَضَمَّنُ هَذَا أَنَّ الْغُفْرَانَ قَدْ وَقَعَ، وَمَا قَدَّمْنَاهُ أَوَّلًا يَقْتَضِي وُقُوعَ الْغُفْرَانِ لِلنَّبِيِّ عليه السلام، وَيَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُ الصَّحَابَةِ لَهُ حِينَ قَامَ حَتَّى تَوَرَّمَتْ قَدَمَاهُ: لِمَ تَصْنَعُ هَذَا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ؟ قَالَ: ((أَفَلَا أُحِبُّ أَنْ أَكُونَ عَبْدًا شَكُورًا))!. (صحيح البخاري ٤٨٣٧).

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَهَذَا مِنْ خَصَائِصِهِ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ الَّتِي لَا يُشَارِكُهُ فِيهَا غَيْرُهُ، وَلَيْسَ فِي حَدِيثٍ صَحِيحٍ فِي ثَوَابِ الْأَعْمَالِ لِغَيْرِهِ ((غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ))، وَهَذَا فِيهِ تَشْرِيفٌ عَظِيمٌ لِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، وَهُوَ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِ عَلَى الطَّاعَةِ وَالْبِرِّ وَالِاسْتِقَامَةِ الَّتِي لَمْ يَنَلْهَا بَشَرٌ سِوَاهُ لَا مِنَ الْأَوَّلِينَ وَلَا مِنَ الْآخِرِينَ، وَهُوَ أَكْمَلُ الْبَشَرِ عَلَى الْإِطْلَاقِ وَسَيِّدُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَلَمَّا كَانَ أَطْوَعَ خَلْقِ اللَّهِ تَعَالَى لِلَّهِ وَأَشَدَّهُمْ تَعْظِيمًا لِأَوَامِرِهِ وَنَوَاهِيهِ قَالَ حِينَ بَرَكَتْ بِهِ النَّاقَةُ: ((حَبَسَهَا حَابِسُ الْفِيلِ))، ثُمَّ قَالَ صلى الله عليه وسلم: ((وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يَسْأَلُونِي الْيَوْمَ شَيْئًا يُعَظِّمُونَ بِهِ حُرُمَاتِ اللَّهِ إِلَّا أَجَبْتُهُمْ إِلَيْهَا))، فَلَمَّا أَطَاعَ اللَّهَ فِي ذَلِكَ وَأَجَابَ إِلَى الصُّلْحِ قَالَ اللَّهُ تعالى لَهُ: «إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا (١) لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ». (تفسير القرآن العظيم: ٤/١٨٣و١٨٤).

فَإِنْ قِيلَ: إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ مَعْصُومُونَ مِنَ الْكَبَائِرِ بِالْإِجْمَاعِ، وَمِنَ الصَّغَائِرِ عَلَى الرَّاجِحِ، قَبْلَ الْبِعْثَةِ وَبَعْدَهَا، فَمَا هِيَ ذُنُوبُهُ الَّتِي غَفَرَهَا اللَّهُ لَهُ؟

فَالْجَوَابُ: الْمُرَادُ تَرْكُ مَا هُوَ الْأَوْلَى، وَسُمِّيَ ذَنْبًا فِي حَقِّهِ لِجَلَالَةِ قَدْرِهِ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ ذَنْبًا فِي حَقِّ غَيْرِهِ، فَهُوَ مِنْ قَبِيلِ حَسَنَاتِ الْأَبْرَارِ سَيِّئَاتِ الْمُقَرَّبِينَ. (إرشاد العقل السليم: ٦/٩٨، فتح القدير: ٥/ ٥٣، روح المعاني: ١٣/ ٢٤٥)

«وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ» بِإِعْلَاءِ الدِّينِ، وَضَمِّ الْمُلْكِ إِلَى النُّبُوَّةِ، وَغَيْرِهِمَا مِمَّا أَفَاضَهُ عَلَيْهِ مِنَ النِّعَمِ الدِّينِيَّةِ وَالدُّنْيَوِيَّةِ. (إرشاد العقل السليم: ٦/٩٨)، «وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا» وَيَزِيدُكَ فِي الْهِدَايَةِ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا يُفْضِي بِكَ إِلَى رِضْوَانِ اللَّهِ وَالْجَنَّةِ، وَإِلَّا فَهُوَ صلى الله عليه وسلم «عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ» مُنْذُ أَنْ بُعِثَ، كَمَا أَقْسَمَ رَبُّنَا سُبْحَانَهُ فِي مَطْلَعِ سُورَةِ يس. «وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا» أَيْ: وَيَنْصُرُكَ عَلَى سَائِرِ أَعْدَائِكَ، وَمَنْ نَاوَأَكَ نَصْرًا لَا يَغْلِبُهُ غَالِبٌ،

وَلَا يَدْفَعُهُ دَافِعٌ، لِلْبَأْسِ الَّذِي يُؤَيِّدُكَ اللهُ بِهِ، وَبِالظَّفَرِ الَّذِي يُمِدُّكَ بِهِ. (جامع البيان: ٢٦/٧١)

مِنْ فَضْلِ اللهِ عَلَى المُؤْمِنِينَ:

«هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللهُ عَلِيمًا حَكِيمًا»:

السَّكِينَةُ مَعْنَاهَا السُّكُونُ وَالطُّمَأْنِينَةُ، وَالثَّبَاتُ عِنْدَ نُزُولِ الْمِحَنِ الْمُقْلِقَةِ، وَالْأُمُورِ الصَّعْبَةِ، الَّتِي تُشَوِّشُ الْقُلُوبَ، وَتُزْعِجُ الْأَلْبَابَ، وَتُضْعِفُ النُّفُوسَ، فَالصَّحَابَةُ رضي الله عنهم لَمَّا جَرَى مَا جَرَى بَيْنَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم وَالْمُشْرِكِينَ، مِنْ تِلْكَ الشُّرُوطِ الَّتِي ظَاهِرُهَا أَنَّهَا غَضَاضَةٌ عَلَيْهِمْ، وَحَطٌّ مِنْ أَقْدَارِهِمْ، لَمْ يَصْبِرُوا وَرَاجَعَ بَعْضُهُمُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم كَمَا سَبَقَ عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه قَالَ: فَأَتَيْتُ نَبِيَّ اللهِ صلى الله عليه وسلم فَقُلْتُ: أَلَسْتَ نَبِيَّ اللهِ حَقًّا؟ قَالَ: ((بَلَى)). قُلْتُ: أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ، وَعَدُوُّنَا عَلَى الْبَاطِلِ؟ قَالَ: ((بَلَى)). قُلْتُ: فَلِمَ نُعْطِ الدَّنِيَّةَ فِي دِينِنَا إِذًا؟!

فَعَلِمَ اللهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ فَاطْمَأَنَّتْ نُفُوسُهُمْ بَعْدَ الِاضْطِرَابِ، وَرَسَخَ يَقِينُهُمْ بَعْدَ خَوَاطِرِ الشَّكِّ، وَلَوْلَا ذَلِكَ الِاطْمِئْنَانُ وَالرُّسُوخُ لَبَقُوا كَاسِفِي الْبَالِ شَدِيدِي الْبَلْبَالِ.

فَمِنْ نِعْمَةِ اللهِ عَلَى عَبْدِهِ فِي مِثْلِ هَذِهِ الْحَالِ أَنْ يُثَبِّتَهُ وَيَرْبِطَ عَلَى قَلْبِهِ، وَيُنْزِلَ عَلَيْهِ السَّكِينَةَ، لِيَتَلَقَّى هَذِهِ الْمَشَقَّاتِ بِقَلْبٍ ثَابِتٍ وَنَفْسٍ مُطْمَئِنَّةٍ، فَيَسْتَعِدَّ بِذَلِكَ لِإِقَامَةِ أَمْرِ اللهِ فِي هَذِهِ الْحَالِ، فَيَزْدَادَ بِذَلِكَ إِيمَانُهُ، وَيَتِمَّ إِيقَانُهُ، فَلَمَّا صَبَرُوا عَلَيْهَا وَوَطَّنُوا أَنْفُسَهُمْ لَهَا، ازْدَادُوا بِذَلِكَ إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ. (تيسير الكريم الرحمن(٧/٩٣) بتصرف).

الإِيمَانُ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ:

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: «لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ» مِنْ أَظْهَرِ الْأَدِلَّةِ الَّتِي تَدُلُّ عَلَى صِحَّةِ مَذْهَبِ السَّلَفِ الصَّالِحِ فِي زِيَادَةِ الْإِيمَانِ وَنُقْصَانِهِ، كَمَا قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: كِتَابُ الْإِيمَانِ: وَهُوَ قَوْلٌ وَفِعْلٌ، وَيَزِيدُ وَيَنْقُصُ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: «لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ»، «وَزِدْنَاهُمْ هُدًى»، «وَيَزِيدُ اللهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى»، «وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ»، «وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا»، وَقَوْلُهُ «أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا»، وَقَوْلُهُ جَلَّ ذِكْرُهُ «فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا»، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: «وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا». (صحيح البخاري ١/٤٥)

قَالَ الْحَافِظُ رَحِمَهُ اللهُ: مَذْهَبُ السَّلَفِ أَنَّ الْإِيمَانَ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ، وَقَدْ نَقَلَ مُحَمَّدُ بْنُ نَصْرٍ الْمَرْوَزِيُّ فِي كِتَابِهِ ((تَعْظِيمُ قَدْرِ الصَّلَاةِ)) عَنْ جَمَاعَةٍ مِنَ الْأَئِمَّةِ نَحْوَ ذَلِكَ، وَمَا نُقِلَ عَنِ السَّلَفِ صَرَّحَ بِهِ عَبْدُ الرَّزَّاقِ فِي مُصَنَّفِهِ عَنْ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ، وَمَالِكِ بْنِ أَنَسٍ، وَالْأَوْزَاعِيِّ، وَابْنِ جُرَيْجٍ وَمَعْمَرٍ وَغَيْرِهِمْ، وَهَؤُلَاءِ فُقَهَاءُ الْأَمْصَارِ فِي عَصْرِهِمْ. وَكَذَا نَقَلَهُ أَبُو الْقَاسِمِ اللَّالَكَائِيُّ فِي ((كِتَابِ السُّنَّةِ)) عَنِ الشَّافِعِيِّ، وَأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، وَإِسْحَاقَ بْنِ رَاهَوَيْهِ، وَأَبِي عُبَيْدٍ وَغَيْرِهِمْ مِنَ الْأَئِمَّةِ، وَرَوَى بِسَنَدِهِ الصَّحِيحِ عَنِ الْبُخَارِيِّ قَالَ: لَقِيتُ أَكْثَرَ مِنْ أَلْفِ رَجُلٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ بِالْأَمْصَارِ، فَمَا رَأَيْتُ أَحَدًا مِنْهُمْ يَخْتَلِفُ فِي أَنَّ الْإِيمَانَ قَوْلٌ وَعَمَلٌ، وَيَزِيدُ وَيَنْقُصُ. وَأَطْنَبَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ وَاللَّالَكَائِيُّ فِي نَقْلِ ذَلِكَ بِالْأَسَانِيدِ عَنْ جَمْعٍ كَثِيرٍ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ، وَكُلِّ مَنْ يَدُورُ عَلَيْهِ الْإِجْمَاعُ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ، وَحَكَاهُ فُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ وَوَكِيعٌ عَنْ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ. (فتح الباري (١/ ٤٦و٤٧). فَنَسْأَلُ اللهَ تَعَالَى مِنْ فَضْلِهِ أَنْ يَزِيدَنَا إِيمَانًا وَهُدًى.

وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

التطبيق المعاصر للزكاة

أحكام وحساب زكاة النشاط الصناعي والمشروعات الصناعية

إعداد د. حسين حسين شحاتة
الأستاذ بجامعة الأزهر

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

يعتبر النشاط الصناعي في الوقت المعاصر من أهم مصادر الكسب، كما يستثمر فيه قدر كبير من الأموال، ولقد ثار خلاف فقهى حول مدى خضوع هذا النشاط للزكاة، فمن الفقهاء من يرى أنه لا زكاة عليه، ومنهم من يرى خضوعه للزكاة، حتى الذين يرون خضوعه للزكاة اختلفوا في كيفية حساب الزكاة عليه، فمنهم من يرى قياسه على زكاة الزروع والثمار، ومنهم من يرى قياسه على زكاة المستغلات، ومنهم من يرى قياسه على شركات عروض التجارة، وإن كان الرأي الأخير هو الأرجح فهذا يستوجب بيان كيفية حساب الزكاة عليه وهذا ما سوف نتناوله بشيء من التفصيل في هذا الفصل.

وتأسيسًا على ما يختص به هذا الفصل من

دراسة التكييف الفقهي لزكاة النشاط الصناعي والاستثمارات الصناعية، واستنباط أحكام وحساب الزكاة عليه، مع إعطاء نماذج تطبيقية من الواقع المعاصر، كما سوف نتطرق إلى أحكام وأسس حساب زكاة الحرف، والورش الصناعية التي تقوم بتصنيع أشياء بسيطة.

ولقد اعتمدنا في هذا كله على الفتاوى الصادرة عن الهيئة الشرعية للزكاة، وقراراتها، وتفسيراتها.

طبيعة النشاط الصناعي ومدى خضوعه للزكاة:

يقصد بالصناعة عملية تحويل الخامات وما في حكمها إلى منتجات أو خدمات ذات منافع، وهي مهنة حلال طيبة، أشار إليها القرآن في أكثر من

موضع يقول الله تبارك وتعالى: (وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنتُمْ شَاكِرُونَ) (الأنبياء:٨٠)، وقوله عز وجل: (فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا) (المؤمنون:٢٧)، ولقد كان سيدنا نوح عليه السلام نجارًا، وكان سيدنا داود عليه السلام يصنع الدروع.

وتخضع الأموال المستثمرة في النشاط الصناعي للزكاة، ودليل ذلك قول الله عز وجل: (خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً) (التوبة:١٠٣)، ويدخل في نطاق ذلك؛ الأموال المستثمرة في الصناعة، كما يقول سبحانه وتعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الْأَرْضِ) (البقرة:٢٦٧)، ويعتبر النشاط الصناعي من مصادر الكسب الحلال الطيب، كما أن الأموال المستثمرة في النشاط الصناعي تعتبر نامية بالفعل ومن ثم تجب فيها الزكاة.

ومن ناحية أخرى لم يَردْ دليل قوى يُعْفي النشاط الصناعي من الزكاة حيث كان السائد في صدر الدولة الإسلامية هو التمازج والتفاعل بين نشاطي الصناعة والتجارة، حيث كان المسلم يصنع السلعة ثم يبيعها، كما كان الأمر في صناعة الملابس والدروع، ومن ثم يطبق على النشاط الصناعي فقه زكاة التجارة.

ولقد صدر عن مجامع الفقه المعاصرة الفتاوى والقرارات التي تُخضع النشاط الصناعي للزكاة، يُرجع في ذلك إلى فتاوى الندوة الأولى لقضايا الزكاة المعاصرة، تنظيم الهيئة الشرعية العالمية للزكاة، بيت الزكاة - الكويت، ربيع الأول ١٤٠٩هـ/ أكتوبر ١٩٨٨م - زكاة المشروعات الصناعية.

التكييف الفقهي لزكاة النشاط الصناعي

لقد تناول الفقهاء المعاصرون أحكام حساب زكاة النشاط الصناعي وعُقِدَ لذلك عدة ندوات ومؤتمرات، كما تناول العديد من الباحثين هذا الموضوع، وظهرت عدة آراء قَيِّمَة نلخصها في الآتي:

الرأي الأول: القياس على زكاة الأراضي الزراعية باعتبار أن كلاً منهما أصلاً ثابتًا يدر دخلًا متجددًا بالعمل فيه والنفقة عليه، ومن ثم تجب الزكاة في المنتج بنسبة ٥٪، كما يمكن معاملة رأس المال العامل (الأصول المتداولة) من المشروع الصناعي معاملة عروض التجارة، ومن ثم تجب الزكاة في الأصل والناتج بنسبة ٢,٥٪ مع عدم خضوع الأصول الثابتة فيه للزكاة (الندوة الأولى لقضايا الزكاة المعاصرة، ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م).

الرأي الثاني: القياس على زكاة التجارة بحيث تخضع الأصول الثابتة والأصول المتداولة ويطرح منهما الالتزامات الحالّة ويزكى الصافي بنسبة ٢,٥٪ ويعنى هذا خضوع الأصول الثابتة للزكاة وهذا يتعارض مع حكم عدم خضوع عروض القنية (الأصول الثابتة) للزكاة في عينها.

- الرأي الثالث: القياس على زكاة التجارة مع عدم خضوع الأصول الثابتة للزكاة، حيث تحدد وتُقَوَّمْ الأصول المتداولة، ويطرح منها الخصوم (الالتزامات) المتداولة ويكون الفرق هو وعاء الزكاة الذى يزكى بنسبة ٢,٥٪. (للمزيد ينظر: قرارات وفتاوى الندوة السابعة لقضايا الزكاة المعاصرة، ١٤١٧هـ/١٩٧٧م. د. يوسف قاسم، «خلاصة أحكام زكاة التجارة والصناعة في الفقه الإسلامي»، القاهرة، دار النهضة العربية، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م).

ترجيح: ونرجح الرأي الأخير حيث يتفق مع أحكام الزكاة العامة ومنها:

- لا تجب الزكاة في أعيان الأصول الثابتة المستخدمة في الإنتاج، بل تجب الزكاة في صافي غلتها.
- تجب الزكاة في الأصول المتداولة مع خصم الالتزامات الحالّة.
- دور العنصر البشرى في النشاط الصناعي ملحوظ.

أحكام حساب زكاة النشاط الصناعي

لا تختلف أحكام وخطوات حساب زكاة النشاط الصناعي عن المطبق في النشاط التجاري، والتي تتلخص في الآتي:

(١) **تحديد ميعاد حلول الزكاة وهو نهاية السنة**

الزكوية (الحولية).

(٢) تحديد وتقويم الأموال المستثمرة في النشاط الصناعي التي تتوافر فيها شروط الخضوع للزكاة (الأموال الزكوية).

(٣) تحديد وتقويم الالتزامات (الخصوم المتداولة) الحالة الواجبة الخصم من الأموال الزكوية (الالتزامات الحالّة).

(٤) خصم الالتزامات الحالّة (الخصوم المتداولة) من الأموال الزكوية للوصول إلى وعاء الزكاة (وعاء الزكاة).

(٥) تحديد مقدار النصاب وهو ما يعادل ٨٥ جرامًا من الذهب عيار ٢٤، ويقوم على أساس سعر الجرام وقت حلول الزكاة. (مقدار النصاب).

(٦) تحديد سعر الزكاة، وهو ٢,٥٪ على أساس السنة القمرية، و ٢,٥٧٥٪ على أساس السنة الشمسية (سعر الزكاة).

(٧) حساب مقدار الزكاة: إذا وصل الوعاء النصاب، تحسب الزكاة عن طريق ضرب الوعاء في سعر الزكاة (مقدار الزكاة).

(٨) أداء الزكاة على النحو التالي:

أ- في حالة المنشآت الفردية الصناعية: يؤدى مالك المصنع الزكاة.

ب- في حالة شركات الأشخاص الصناعية: يؤدى الشركاء الزكاة وتوزع عليهم بنسبة رؤوس أموالهم.

جـ- في حالة شركات المساهمة الصناعية: يؤدى المساهمون الزكاة حسب ملكية كل مساهم من الأسهم.

أحكام تحديد وتقويم الأموال الزكوية في النشاط الصناعي:

يوجد بالنشاط الصناعي أنواع مختلفة من الأموال (الأصول)، بعضها معنوي مثل: حقوق الامتيازات، والاختراع، والشهرة، وبعضها عيني مثل: الآلات، والمعدات، والماكينات، والأدوات، والعدد، وبعضها متداول مثل: الإنتاج التام والإنتاج تحت التشغيل والخامات ومستلزمات التشغيل والعملاء والمدينون والعُهَد والسُّلَف النقدية لدى البنوك وبالصندوق.

ويحكم تحديد وتقويم الأموال السابقة من منظور حساب الزكاة مجموعة من الأحكام نلخصها في الآتي:

(١) لا تجب الزكاة في الأصول الثابتة المعنوية مثل: حقوق الامتياز والاختراع والابتكار والعلامات المسجلة والشهرة.. وما في حكم ذلك لأنها من عروض القنية التي يستفاد من منافعها في عملية التصنيع.

(٢) لا تجب الزكاة في أعيان الأصول الثابتة العينية المستخدمة في عمليات الإنتاج أو التي تساعد عليه، مثل: الأراضي، والعقارات المبنية، والآلات، والمعدات والماكينات، والأجهزة، والعدد، والأدوات، والسيارات، والأثاث.. وما في حكم ذلك لأنها من عروض القنية التي تستخدم في الأعمال الصناعية.

(٣) لا تجب الزكاة في المصروفات الإيرادية المؤجلة مثل: مصاريف التأسيس وتكاليف التجارب، ومصاريف ما قبل التشغيل الاقتصادي.. وما في حكم ذلك لأنها ليست من المال النامي كما أنها ليست متداولة.

(٤) تجب الزكاة على البضاعة في النشاط الصناعي وتقوّم على النحو التالي:

أ - الإنتاج التام: يُقَوَّم على أساس القيمة السوقية سعر المصنع.

ب- الإنتاج تحت التشغيل: يُقَوَّم على أساس القيمة السوقية لما فيه من خامات (سعر الجملة).

جـ- الخامات: تُقَوَّم على أساس القيمة السوقية (سعر الجملة).

د- قطع الغيار غير المعدة للبيع: لا تجب فيها الزكاة لأنها مرتبطة بالأصول الثابتة.

هـ قطع الغيار المعدة للبيع: تُقَوَّم على أساس القيمة السوقية.

و- الاعتمادات المستندية لاستيراد بضاعة أو خامات: تقوم على أساس المدفوع نقدًا فعلًا.

ز- مستلزمات التشغيل: لا تجب فيها الزكاة.

وللحديث بقية إن شاء الله،

والحمد لله رب العالمين.

من أخلاق أهل القرآن

ويتلونه أطراف النهار ويتعاهدونه

إعداد **د. أسامة صابر**

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فقد ذكرنا في الحلقة السابقة من صفات أهل القرآن أنهم يتلونه آناء الليل، وها نحن نلتمس قبسًا من هديهم في ترتيله أطراف النهار وتعاهده.

في الصحيحين عن أبي موسى رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "تعاهدوا هذا القرآن فوالذي نفس محمد بيده لهو أشد تفلتًا من الإبل في عقلها" (صحيح مسلم ٧٩١)؛ فقد شبه النبي صلى الله عليه وسلم مدارسة القرآن واستمرار تلاوته بربط البعير الذي يُخشَى منه الشراد؛ فالحفظ مرتبط بالتعاهد.

وعن عبد الله بن مسعود قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: "بِئْسَ مَا لأَحَدِهِمْ أَنْ يَقُولَ نَسِيتُ آيَةَ كَيْتَ وَكَيْتَ، بَلْ نُسِّيَ، وَاسْتَذْكِرُوا القُرْآنَ؛ فَإِنَّهُ أَشَدُّ تَفَصِّيًا مِنْ صُدُورِ الرِّجَالِ مِنَ النَّعَمِ" (صحيح البخاري ٥٠٣٢).

قال القرطبي: "معناه أنه عوقب بوقوع النسيان عليه لتفريطه في معاهدته واستذكاره".

وقال الحافظ ابن حجر: "سبب الذم ما فيه من الإشعار بعدم الاعتناء بالقرآن؛ إذ لا يقع النسيان إلا بترك التعاهد وكثرة الغفلة، فلو تعاهده بتلاوته والقيام به في الصلاة لدام حفظه وتذكره".

قال ابن بطال: "هذا الحديث يوافق الآيتين قوله تعالى: (إنا سنلقى عليك قولاً ثقيلاً)، وقوله تعالى: (ولقد يسَّرنا القرآن للذِّكْر)، فمن أقبل عليه بالمحافظة والتعاهد يُسِّرَ له، ومن أعرض عنه تَفَلَّتَ منه.

قال عثمان بن عفان رضي الله عنه: "لو طهرت قلوبكم ما شبعت من كلام ربكم".

وقد أرشد النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله ابن عمرو بن العاص إلى الهدى في ختم القرآن فحين سأله (وكيف تختم؟) قال: كل ليلة، فقال له: (اقرأ القرآن في كل شهر) فأجابه أنه يطيق أكثر من ذلك؛ فقال له صلى الله عليه وسلم: (اقرأ في كل سبع ليالٍ مرة) (انظر الحديث في صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب في كم يقرأ القرآن: حديث ٥٠٥١).

قال الإمام النووي رحمه الله في كتابه (التبيان في آداب حملة القرآن): (ينبغي أن يحافظ على تلاوته ويكثر منها، وكان السلف رضي الله عنهم لهم عادات مختلفة في قَدْر ما يختمون فيه)، وذكر طرفًا من أخبارهم، ثم قال: (والاختيار أن ذلك يختلف باختلاف الأشخاص، فمن كان يظهر له بدقيق الفكر لطائف ومعارف فليقتصر على قدر يحصل له كمال فهم ما يقرأه، وكذا من

كان مشغولاً بنشر العلم أو غيره من مهمات الدين ومصالح المسلمين العامة فليقتصر على قدر لا يحصل بسببه إخلال بما هو مرصد له، وإن لم يكن من هؤلاء المذكورين فليستكثر ما أمكنه من غير خروج إلى حد الملل والهرذمة).

وفى رياض أهل القرآن تطيب القلوب بذكر سيرتهم

- عثمان بن عفان: كان رضي الله عنه يقرأ القرآن في ركعة ثم يوتر بها.

قال الإمام النووي: "فمن الذين كانوا يختمون الختمة في اليوم والليلة: عثمان بن عفان رضي الله عنه، وتميم الداري، وسعيد بن جبير، ومجاهد، والشافعي، وآخرون".

- الأسود بن يزيد النخعي: كان يختم القرآن في رمضان في كل ليلتين، وفي غير رمضان في كل ست ليال.

- علقمة: كان يقرأ القرآن في خمس، وقام بالقرآن في ليلة عند البيت.

- عروة بن الزبير: كان يقرأ ربع القرآن كل يوم في المصحف نظرًا، ويقوم به الليل، فما تركه إلا ليلة قطعت رجله.

- قتادة بن دعامة: كان يختم القرآن في سبع، فإذا جاء رمضان ختم في كل ثلاث، فإذا جاء العشر ختم في كل ليلة.

- حمزة بن حبيب الزيات: أحد القراء السبعة، قال: (نظرت في المصحف حتى خشيت أن يذهب بصري).

أبو بكر بن عياش (شعبة) الراوي عن عاصم: مكث أربعين سنة يختم القرآن في كل يوم وليلة، ولما حضرته الوفاة بكت أخته، فقال لها ما يبكيك؟ انظري إلى تلك الزاوية ختمت فيها ثمان عشرة ألف ختمة.

قال الإمام الذهبي معلقًا على ذلك: (إذا سمعت مثل هذا عن الرجل يعظم في عيني وأغبطه، ولكن متابعة السنة أرفع، فقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم أن يُقرَأ القرآن في أقل من ثلاث، وقال: (لم يفقه من قرأ القرآن في أقل من ثلاث) (أبو داود ١٣٩٤، والترمذي ٢٩٤٩ وصححه الألباني).

- الإمام الشافعي: قال عنه الربيع: كان يختم القرآن في شهر رمضان ستين ختمة، كل ذلك في صلاة.

- الإمام مالك: قيل لأخته: ما كان شغل مالك في بيته؟ قالت: المصحف والتلاوة.

- شيخ الإسلام ابن تيمية: لما حُبِسَ في القلعة وأخذوا منه أقلامه ودفاتره تفرغ لتلاوة القرآن وختمه في السجن ثمانين ختمة، وانتهى في آخر ختمة إلى آخر سورة القمر: (إن المتقين في جنات ونَهَر في مقعد صدق عند مليك مقتدر).

- الخياط محمد بن أحمد بن على مصنف كتاب المهذب في القراءات: كان له ورد بين العشاءين يقرأ فيه سبعًا من القرآن قائمًا وقاعدًا حتى طعَن في السن.

- يعقوب بن يوسف الحربي قال عنه ابن النجار: كان صالحًا من أعيان القراء الموجودين الضابطين، وكان قد يسَّر الله عليه التلاوة، وإذا دخل المسجد ركع تحيته فتلا فيها سبعًا أسرع من قراءة غيره.

- الدمياطي محمد بن عبد العزيز، مولده في حدود سنة ٦٢٠ قرأ القراءات على الإمام السخاوي، وقال عنه الإمام الذهبي: "شرعنا عليه الجمع. أي: بدأ القراءة عليه جمعًا للقراءات-، فوجدناه ذاكرًا قريب العهد بالخلاف، فبلغني أنه كان يتلو لنفسه كل ختمة لراوٍ، فلهذا لم ينس الفنّ، فكملت عليه الجمع الكبير".

نسأل الله أن يجعلنا من أهل القرآن، وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

التخلق بالرحمة واللين عبادة لرب العالمين

بقلم

د. مرزوق محمد مرزوق

الحمد لله ولي الصالحين، والصلاة والسلام على خير خلق الله أجمعين وآله ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

ففي شهر رجب تفضل الله علينا بالبحث حول حديث من أحاديث باب عنون له شيخ المحدثين البخاري رحمه الله (باب ما يحذر من زهرة الدنيا والتنافس فيها) ضمن كتاب الرقاق قال: ابْنُ شِهَابٍ: حَدَّثَنِي عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ أَنَّ الْمِسْوَرَ بْنَ مَخْرَمَةَ أَخْبَرَهُ أَنَّ عَمْرَو بْنَ عَوْفٍ وَهْوَ حَلِيفٌ لِبَنِي عَامِرِ بْنِ لُؤَيٍّ كَانَ شَهِدَ بَدْرًا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخْبَرَهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثَ أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الْجَرَّاحِ إِلَى الْبَحْرَيْنِ يَأْتِي بِجِزْيَتِهَا، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُوَ صَالَحَ أَهْلَ الْبَحْرَيْنِ، وَأَمَّرَ عَلَيْهِمُ الْعَلَاءَ بْنَ الْحَضْرَمِيِّ، فَقَدِمَ أَبُو عُبَيْدَةَ بِمَالٍ مِنَ الْبَحْرَيْنِ، فَسَمِعَتِ الأَنْصَارُ بِقُدُومِهِ فَوَافَتْهُ صَلَاةَ الصُّبْحِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا انْصَرَفَ تَعَرَّضُوا لَهُ فَتَبَسَّمَ حِينَ رَآهُمْ.

وَقَالَ: «أَظُنُّكُمْ سَمِعْتُمْ بِقُدُومِ أَبِي عُبَيْدَةَ، وَأَنَّهُ جَاءَ بِشَيْءٍ»؟ قَالُوا: أَجَلْ يَا رَسُولَ اللَّهِ.

قَالَ: «فَأَبْشِرُوا وَأَمِّلُوا مَا يَسُرُّكُمْ، فَوَاللَّهِ مَا الْفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ، وَلَكِنْ أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُبْسَطَ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا، وَتُلْهِيَكُمْ كَمَا أَلْهَتْهُمْ». (صحيح البخاري ٣٠١٥ح، صحيح الإمام مسلم ح٥٣٩٥).

والحمد لله تناولناه تخريجًا وشرحًا وذكر بعض مما يستفاد منه فكان مما ذكر من فوائده إجمالاً:

أولاً: النظر إلى عواقب الأمور وعدم الاغترار بزهرة الدنيا.

ثانيًا: محبة المال فطرة وهي بين مشروع وممنوع.

فليراجع تكرمًا من متابع مجلتنا الغراء.

واستكمالا لما في الحديث من فوائد نقول وبالله تعالى التوفيق:

ثالثا: الحديث دليل من دلائل النبوة:

فقدْ وقعَ ما أخْبَر به صلَّى الله عليه وسلَّم؛ إذ فُتحتْ الدُّنيا بعدَه وبُسطتْ، وها نحنُ نرى منها ما لم يره أسلافنا ثم حَصَل التنافس والتقاتُلُ ممَّا يزيد المؤمن إيمانًا صلَّى الله عليه وسلَّم ودلائل النبوة من أهم ما يزيد إيمان المؤمنين (للاستزادة في مثل ذلك ينصح بمظانها كدلائل النبوة للبيهقي، ومثله لأبي نعيم، وقبله إثبات النبوة للشافعي الإمام، وثبوت النبوات لشيخ الاسلام ابن تيمية، رحمة الله على الجميع) ينظر فتح الباري ٦/٢٦٣.

رابعًا: من صفات القائد والداعية الفطنة والذكاء وفهم إخوانه:

وذلك واضح من فعل النبي صلى الله عليه وسلم عندما رأى الأنصار تعرَّضوا له بعد صلاة الصبح، ففطن لما يريدون وسبيل ذلك الافتقار الى الله.

خامسًا: أهمية تأمير الأمراء على الأقطار والبلدان:

كما في حديثنا إذ ولَّى النبي صلى الله عليه وسلم على البحرين العلاء بن الحضرمي؛ فالأمير يجتمع إليه الناس، ويجمع الله به الكلمة، وغيره مما لا يتسع بسطه في حالتنا هذه.

سادسًا: من أساليب البيان في الدعوة إلى الله طريقة السؤال والجواب:

إذ تشد انتباه المدعو، وها قد رأينا نبينا صلى الله عليه وسلم يفعل هذا.

سابعا: جواز التأكيد بالقسم أحيانًا كوسيلة من وسائل إقناع المخاطب، وقد فعلها النبي وهو الصادق المصدوق.

ثامنًا: من أصناف المدعوين: أهل الصلاح والتقوى:

فليست الدعوة قاصرة على أهل المعاصي فقط، بل الذكرى تنفع المؤمنين.

تاسعًا: التخلق بخلق الرحمة واللين في دلالة العباد على الدين: وقد أخَّرتها لأهميتها، ونحن على أعتاب شهر كريم، فليسمح إخواني لي بهذه التوسعة لاسيما وقد افتقر العالم بأثره لمثل هذه الأخلاق التي خسر العالم كثيرًا بتخلفهم عنها.

وذلك من قول الصحابي عمرو بن عوف رضى الله عنه واصفًا رسول الله: (فتبسم حين رآهم)؛ فتبسمه صلى الله عليه وسلم يبعث الراحة في نفوس الآخرين، ويفتح لهم فرصة العرض والطلب، ويرفع مؤنة السؤال والحرج، وهكذا يكون الدعاة إلى الله دعاة بالرحمة واللين؛ كما كان سيد المرسلين، ولا شك أن التبسم نوع من أنواع الرحمة والحالة هذه، قال القرطبي رحمه الله في تفسيره ج٤/ ص٢٤٨: (وغلظ القلب عبارة عن تجهُّم الوجه، وقلة الانفعال في الرغائب، وقلة الإشفاق والرحمة).

ولم ينكر صلى الله عليه وسلم إقبال الناس من أجل المال؛ إذ هي طبيعة البشر.

هذا واتصالاً بالفائدة السابقة فإن الموفَّق من ينتقي العبر ويضعها في مكانها وزمانها وطريقة التعبير عنها كما كان يفعل المصطفى صلى الله عليه وسلم لما وجد نفوسًا قد تهيأت لسماع ما يقال، ووجد البيان مناسبًا للحال بيَّن، وما كان لرسول الله أن يؤخر البيان عن وقت الحاجة إليه، غير أنه لا تفارق أخلاقه ما أمره الله به (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ) (آل عمران: ١٥٩) وذلك في وعظه، ووعده ووعيده.

إننا وخاصة في هذه الأيام نحتاج إلى هذا الداعية صادق اللهجة، بَرّ الخلق، كريم العطايا؛ كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم.

بل وفوق ذلك صاحب عفو ممتد ليس لديه حسابات إلا الجنة، بضاعته نفسٌ باعها لله؛ حيث (إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَ) (التوبة:١١١) لا يتعدى حدود الله، وفي صحيح البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت: (ما خُيِّر النبي صلى الله عليه وسلم بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يأثم؛ فإذا كان الإثم كان أبعدهما منه، والله ما انتقم لنفسه في شيء يؤتى إليه قط حتى تُنتهك حرمات الله فينتقم لله) (ح ٦٢٨٨).

ثم هو بعد ذلك يطلب الأرفق للناس فلا يُعنتهم كقوله صلى الله عليه وسلم: "إن الله لم يبعثني معنتًا، ولا متعنتًا، ولكن بعثني معلِّمًا ميسرًا" (مسلم ٢٧٩٥).

وما حديث الأعرابي الذي بال في المسجد عن الناس ببعيد والنبي صلى الله عليه وسلم يرفق به آمرًا أصحابه: "دعوه وهريقوا على بوله سجلاً من ماء أو ذنوبًا من ماء؛ فإنما بُعثتم ميسِّرين، ولم تبعثوا معسِّرين" (البخاري ٢٥٠).

هذا ومن الرفق تقبّل الميسور من أخلاق الناس، والرضا بظواهرهم وعدم الشق عن سرائرهم، ومنه قبول أعذارهم، والغض عن هفواتهم، ثم بعد ذلك الاجتهاد في إصلاحهم بالحسنى.

عشرًا: تعين صفة الرحمة على الراعي من باب أولى

والراعي هو ما عناه النبي صلى الله عليه وسلم: (ألا كلكم راعٍ وكلكم مسئول عن رعيته. الحديث) متفق عليه، فكلنا راع، وكل بحسب، وإن أشد ما يكون العنف شرًّا وضررًا حين يكون على مَن ولاك الله أمره، وآتاك سلطانًا عليه، وإن جعل هذا السلطان سبيلاً للتسلط والعنف، يجرّ إلى كراهية الخلق لمن تسلط عليه ونفرته؛ حتى لو كنت آمرًا بالخير داعيًا إليه.

هذا ومن صور رحمته صلي الله عليه وسلم تسامحه مع أهل مكة حين فتحها مع ما كان منهم، ورحمته بكبار شانئيه، لم يكن ذلك كله من سيرته عنا ببعيد، مع التأكيد على أن رحمته وإحسانه ليس من باب إقرار غير المسلم على كفره، ولكن من باب الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة وإعطاء الحقوق لأهلها كما يأمره دينه الحق.

فكيف وبعدما تقدم من معاملة الإسلام للخلق، يجورون بوصفهم للإسلام بالإرهاب، فالعدل يا عباد الله.

والحمد لله أولاً وآخرًا

سلسلة العقول الفقهية ووظائفها

العقل الأخير: العقل الباحث

إعداد أ.د/ أحمد منصور سبالك

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعدُ:

فموعدنا أيها القارئ الكريم مع العقل الخامس والأخير من سلسلة العقول الفقهية ووظائفها، فبعد أن تكلمنا عن العقل الناقد، ثم العقل المخالف، ثم العقل المتعصب، ثم العقل المؤثر والمتأثر، يبقى الحديث عن العقل الأخير وبيان وظيفته، ألا وهو: العقل الباحث.

وكلمة الباحث من البحث، وهو استقصاء جميع الآراء بأدلتها وبيان الراجح منها والمرجوح.

ولهذا نجد هذا العقل في الغوص في المصادر وصنعة الكتابة المعاصرة، وتجده-فيما يسمى عند الفقهاء- بالتجميع والتفريق، والذي يُعنى به علم الأشباه والنظائر، وعلم النظريات الفقهية، والقياسات وما يجري فيها، وجمع المسائل الفرعية المتعلقة بموضوع واحد، وجمع الكليات مع جزئياتها، والجزئيات مع كلياتها.

وذلك لتتم عملية الاستقراء في الجمع بالنسبة للبحث، أما التفريق فيكون بين المسائل الفرعية والأحكام الجزئية، وبين القواعد الفقهية والمعاني الجامعة، وبين ما يجوز وما لا يجوز من الاستحسان، وكذلك بين الاعتراضات الواردة على القياس، لا سيما والتي ترد على العلة (أصلية أم غير ذلك... إلخ).

وأيضًا تجد هذا العقل الباحث في تحديد المستثنى منه في الأحكام الشرعية، والمناظرات والجدال في الأصول والفروع التي لا تكون إلا لعقل باحث استقرأ تلك الأصول والفروع.

وأيضًا تجد هذا العقل الباحث في التوقف الفقهي الذي يدل على إنصاف الباحث لما لا يستطيع بما أوتي من آليات أن لا يصل إلى قول راجح وتتساوى عنده الآراء ودلالاتها فيتوقف في المسائل.

وأيضًا تجد هذا العقل الباحث حينما يُوفق بين الآراء وأدلتها، وهذا ما يُعرَف عند الفقهاء بـ«التوفيق الفقهي»، بشروطه وضوابطه المعلومة عند أهل العلم.

وتجده أيضًا عندما ينزل من مذهب معتمد في الدليل والدلالة إلى مذهب آخر-أيضًا- معتمد في دليله ودلالته، وهذا ما يُعرف عند أهل العلم بالتلقين الفقهي، والذي لا يقوم به إلا صاحب دين، وصاحب علم.

وأيضًا تجد هذا العقل الباحث في وسطية لآرائه الفقهية وموازنة دقيقة لا تلقينية مطلقة فيها، ولا توفيقية مطلقة أيضًا، بل وسطية فقهية متوازنة بشروط وضوابط أهل العلم المعتمدة عندهم.

وبالتالي تجد هذه الوسطية بين غلو وتشديد وشذوذ وبين تساهل في الآراء الفقهية التي يصل إليها، فلا تجده مُفْرِطًا في آرائه ولا مُفرِّطًا فيها، بل في وسطية متوازنة لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء.

وعليه تجد عمل هذا العقل الباحث في المجامع الفقهية، والهيئات العلمية البحثية التي تتصدر لعامة الأمة بالدراسات والأبحاث والفتاوى التي تحتاج إليها أمة محمد صلى الله عليه وسلم في النوازل والمستجدات التي تنزل بها، والتي منها الاقتصادية ومنها الطبية، ومنها... إلخ.

فلا بد إذن أن يعمل فيها ويقوم عليها العقول البحثية التي تستطيع أن تخرج لنا حلاً لهذه المستجدات تسير عليها الأمة.

وفي نهاية الحديث عن العقول الفقهية ووظائفها، يجب أن تعلم أيها القارئ الكريم أنواع هذه العقول، مع وظيفة كل عقل منها، وما كان الحديث عن أنواع العقول إلا لبيان كيفية التعامل مع أصحابها؛ لأن كثيرًا ما نسأل: من نسأل؟ والمقصود: من نستفتي؟

فكما بيّنا، لكل مسألة فقهية تعرض علينا أهلٌ لها، وأقصد بـ«أهل لها» أي: عقل من هذه العقول التي تكلمت عنها.

فعلى المستفتي أن يحدد مسألته أولاً، ثم يُحدِّد العقل الذي يسأله من هذه العقول الفقهية.

وبهذا أكون قد وقفت على نهاية سلسلة: العقول الفقهية ووظائفها، سائلاً الحق تبارك وتعالى أن ينفع بها القارئ والكاتب، إنه نعم المولى ونعم النصير، وإلى سلسلة أخرى إن شاء الله تعالى، وصلِّ اللهم وسلم وبارك على محمد وآله وصحبه.

درر البحار في بيان ضعيف الأحاديث القصار

القسم الثاني

إعداد/ علي حشيش

الحلقة (٧٩)

٧٣٧- «**شعبانُ شهري، ورمضانُ شهرُ الله، وشعبانُ المطهِّرُ، ورمضانُ المُكَفِّر**».

الحديث لا يصح: أخرجه أبو منصورَ الديلمي في «مسند الفردوس» (ح١٨٩٢- الغرائب الملتقطة) من حديث الحسن بن يحيى الخشني، عن الأوزاعي، عن يحيى بن أبي كثير، عن أبي سلمة عن عائشة مرفوعًا علقه الحسن بن يحيى الخشني، أورده الحافظ المزي في «تهذيب الكمال» (١٢٦٥/٤٤٤/٤)، وقال: «روى عن عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي وآخرين، وروى عنه هشام بن خالد الأزرق وآخرون كما في هذا السند، قال الإمام النسائي في «الضعفاء والمتروكين» (١٥٠): «الحسن بن يحيى الخشني، ليس بثقة»، وقال الدارقطني في «الضعفاء والمتروكين» (١٩٠): «متروك». اهـ.

وقال ابن حبان في «المجروحين» (٢٣٥/١): «منكر الحديث جدًّا، كثير الوهم فيما يرويه حتى فحش المناكير في أخباره التي يرويها عن الثقات حتى يسبق إلى القلب أنه كان المتعمد لها، فلذلك استحق الترك». اهـ. لذلك قال: «يروي عن الثقات ما لا أصل له». اهـ.

٧٣٨- «**من وقَّر صاحب بدعة فقد أعانَ على هدم الإسلام**».

الحديث لا يصح: أخرجه الإمام الحافظ الطبراني في «المعجم الأوسط» (ح٦٧٦٨): من حديث الحسن بن يحيى الخشني عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة مرفوعًا، ثم قال: «لم يرو هذا الحديث عن هشام بن عروة إلا الحسن بن يحيى الخشني». اهـ.

ومن طريق الخشني رواه أيضًا ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤/١٤) (ح٣٣٤٧)، وعلته الحسن بن يحيى الخشني وهو ليس بثقة، متروك، منكر الحديث جدًّا، كما بينا آنفًا، ومن هذا الطريق أخرجه الإمام ابن حبان، وقال: «هذا الخبر باطل موضوع». اهـ.

٧٣٩- «**رجبُ شهرُ الله، وشعبانُ شهري، ورمضانُ شهرُ أُمتي**».

الحديث لا يصح: أخَرجه الإمام ابن الجوزي في «الموضوعات» (٢٠٥/٢) من حديث أبي سعيد الخدري مرفوعًا مطولاً، وقال: «هذا حديث موضوع على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه الكسائي لا يُعرَف، والنقاش متَّهم». اهـ.

قلتُ: أورده الإمام الذهبي في «الميزان» (٧٤٠٤/٥٢٠/٣)، وقال: «محمَّد بن الحسن بن محمد بن زياد الموصلي ثم البغدادي أبو بكر النقاش المقرئ المفسر، قال طلحة بن محمد الشاهد: «كان النقاش يكذب في الحديث والغالب عليه القصص». قال البرقاني: «كل حديث النقاش منكر». وقال أبو القاسم اللالكائي:

تفسير النقاش «إشقاء الصدور» وليس «شفاء الصدور». اهـ.

تنبيه: وهذا الحديث جاء من طريق آخر، فلا بد من بيانه حتى لا يفتريه؛ فقد أخرجه ابن الجوزي في «الموضوعات» (١٢٤/٢) من حديث أنس بن مالك مرفوعًا مطولاً، وعلته: ابن جهضم، أورده الإمام الذهبي في «الميزان» (٥٨٧٩/١٤٢/٣) وقال: «علي بن عبد الله بن جهضم الزاهد أبو الحسن شيخ الصوفية بحرم مكة، ومصنف كتاب «الميزان» (٥٨٧٩/١٤٢/٣) وقال: «علي بن عبد الله بن جهضم الزاهد أبو الحسن شيخ الصوفية بحرم مكة، ومصنف كتاب «بهجة الأسرار» متَّهَم بوضع الحديث، قال ابن خَيْرون: تكلم فيه. قال: وقيل: إنه يكذب، وقال غيره اتهموه بوضع صلاة الرغائب». اهـ.

تنبيه آخر: وقع تصحيف في الإسناد عند ابن الجوزي في كتابه «الموضوعات» (١٢٤/٢، ١٢٥)، ط دار الفكر، الطبعة الأولى (١٣٨٩هـ-١٩٦٩م)، والطبعة الثانية (١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م) حيث علة الحديث الراوي: «علي بن عبد الله بن جهضم أبو الحسين» صُحِّف إلى أنبأنا: «أبو الحصين علي بن عبد الله بن جهيم». ولقد تبيَّن لنا هذا التصحيف بالرجوع إلى: «اللآلئ المصنوعة» (٥٥/٢) للإمام السيوطي حيث أورد هذا الحديث سندًا ومتنًا، وبالرجوع إلى أئمة الجرح والتعديل ولولا معرفة هذا التصحيف لضلَّ الباحث حول مجهول يسمى «جهيم أبو الحصين»، ولذلك قال الإمام السيوطي في «التدريب» النوع (٣٥): «معرفة المصحف هو فن جليل مهم، وإنما يحققه الحذاق من الحفاظ، والدارقطني منهم، وله فيه تصنيف مفيد». اهـ.

٧٤٠- «تسليم الغزالة على النبي صلى الله عليه وسلم»:

الحديث لا يصح: أورده القاري في «الموضوعات» (ح٩١) وقال: «اشتهر على الألسنة وفي المدائح النبوية، قال ابن كثير: وليس له أصل، ومن نسبه إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقد كذب». اهـ.

فائدة: ويغني عنه ما أخرجه الإمام مسلم في «صحيحه» (ح٢٢٧٧) من حديث جابر بن سمرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إني لأعرفُ حجرًا بمكة كان يُسلمُ عليَّ قبل أن أُبعث، إني لأعرفه الآن».

٧٤١- «إن المؤمنَ يغبطُ، والمنافقَ يَحْسُدُ».

الحديث لا يصح: أورده الغزالي في «الإحياء» (١٨٦/٣) بصيغة الجزم مرفوعًا، وقال الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء»: «لم أجد له أصلاً مرفوعًا، وإنما هو من قول الفضيل بن عياش كذلك رواه ابن أبي الدنيا في ذم الحسد». اهـ.

٧٤٢- «إن الله يُعَذِّبُ الموحدينَ على نَقْصِ إيمانهم، ويردهم إلى الجنة خُلودًا دائمينَ».

الحديث لا يصح: أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٥٤/٨) من حديث أنس مرفوعًا، وعلته: قطن بن صالح الدمشقي، وقد نقل الحافظ الذهبي في «الميزان» (٦٩٠٠/٣٩١/٣): أن أبا الفتح الأزدي قال: «قطن كذاب». اهـ.

٧٤٣- «دارُ الظالم خَرَابٌ ولو بَعْدَ حين».

الحديث لا يصح: أورده الحافظ السخاوي في «المقاصد» (ح٤٧٤) وقال: «لم أقف عليه». اهـ.

فائدة: ويغني عنه ما أخرجه الإمام البخاري في «صحيحه» (ح٤٦٨٦)، والإمام مسلم في «صحيحه» (ح٢٥٨٣) من حديث أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنَّ اللَّه ليُملي للظالم حتى أذا أخذه لم يُفلته». قال ثم قال: «وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ» (هود:١٠٢).

الحلقة العشرون

باب الصلاة

إعداد **د/عزة محمد رشاد (أم تميم)**

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

أما بعد: فقد تكلمنا في الحلقة السابقة عن بعض الأحكام المتعلقة بفقه المرأة في الصلاة، منها: جواز خروج النساء إلى المساجد إذا لم يترتب على خروجهن فتنة، واستئذان المرأة زوجها بالخروج إلى المسجد، وفضل صلاة النساء في بيوتهن، وإمامة المرأة للنساء، وجواز أن تكون المرأة وحدها صفًّا، ونستكمل بعض الأحكام المتعلقة بفقه المرأة في الصلاة؛ عسى الله أن ينفع بها وأن يجعلها في ميزان حسناتنا، إنه على كل شيء قدير، وهو نعم المولى ونعم النصير.

هل مرور المرأة أمام المصلي يقطع صلاته؟

أولًا: ينبغي أن يعلم المرء أن النبي صلى الله عليه وسلم رَهَّب من المرور بين يدي المصلي:

عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إِذَا كَانَ أَحَدُكُمْ يُصَلِّي، فَلَا يَدَعْ أَحَدًا، يَمُرُّ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَإِنْ أَبَى، فَلْيُقَاتِلْهُ، فَإِنَّ مَعَهُ الْقَرِينَ». (أخرجه مسلم: ٥٠٦).

قال أبو جهيم: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لَوْ يَعْلَمُ الْمَارُّ بَيْنَ يَدَيِ الْمُصَلِّي مَاذَا عَلَيْهِ، لَكَانَ أَنْ يَقِفَ أَرْبَعِينَ خَيْرًا لَهُ مِنْ أَنْ يَمُرَّ بَيْنَ يَدَيْهِ» (أخرجه البخاري: ٥١٠، ومسلم ٥٠٧).

قال أبو النضر: لا أدري. قال: أربعين يومًا، أو شهرًا، أو سنة؟

جاء في شرح المهذب (٢٢٧/٣، ٢٢٨): "قال النووي: إذا صلى إلى سترة حرم على غيره المرور بينه وبين السترة، ولا يحرم وراء السترة".

قال ابن حزم في مراتب الإجماع: (ص: ٥٤): "واتفقوا على كراهية المرور بين المصلي وسترته، وأن فاعل ذلك آثم"، وهذا إجماع على أقل ما قيل.

قال العظيم آبادي في عون المعبود (٢٧٩/٢): "والحديث (حديث أبي الجهيم) يدل على أن المرور بين يدي المصلي من الكبائر الموجبة للنار، وظاهره عدم الفرق بين صلاة الفريضة وصلاة النافلة".

ثانيًا: اختلف العلماء في حكم قطع الصلاة بمرور المرأة على قولين:

القول الأول: ذهب الحنفية، والمالكية، والشافعية إلى عدم قطع الصلاة بمرور المرأة، وأن القطع في الأحاديث بمعنى عدم الكمال، وليس بمعنى بطلان الصلاة. (بدائع الصنائع ١/٢١٧، المدونة الكبرى ١/١١٣، روضة الطالبين ١/٢٩٤).

وقال بعض الحنابلة لا يقطع الصلاة إلا الكلب الأسود. (المغني ٢/١٥٩).

واستدلوا على ذلك بما يأتي:

١- عن عائشة قالت: «أَعَدَلْتُمُونَا بِالكَلْبِ وَالحِمَارِ؟ لَقَدْ رَأَيْتُنِي مُضْطَجِعَةً عَلَى السَّرِيرِ، فَيَجِيءُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم فَيَتَوَسَّطُ السَّرِيرَ، فَيُصَلِّي، فَأَكْرَهُ أَنْ أَسْنَحَهُ، فَأَنْسَلُّ مِنْ قِبَلِ رِجْلَيِ السَّرِيرِ حَتَّى أَنْسَلَّ مِنْ لِحَافِي» (أخرجه البخاري: ٥٠٨).

أَسْنَحَهُ أي: أظهر له من قدامه، وقال الخطابي: هو من قول سنح لي إذا عرض لي، تريد أنها كانت تخشى أن تستقبله وهو يصلي ببدنها أي منتصبة. (فتح الباري ٢/٦٩٣).

٢- عن عائشة، «أَنَّ النَّبِي صلى الله عليه وسلم كَانَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ، وَأَنَا مُعْتَرِضَةٌ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْقِبْلَةِ، كَاعْتِرَاضِ الْجِنَازَةِ» (أخرجه مسلم: ٥١٢).

القول الثاني: ذهب الحنابلة في رواية، والظاهرية إلى أن مرور المرأة يقطع الصلاة، وأن المراد بالقطع في الأحاديث هو إبطال الصلاة. (المغني ٢/١٥٩، المحلى ٤/٨).

واستدلوا بما روي عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يَقْطَعُ الصَّلَاةَ الْمَرْأَةُ وَالْحِمَارُ وَالْكَلْبُ، وَيَقِي ذَلِكَ مِثْلُ مُؤْخِرَةِ الرَّحْلِ» (أخرجه مسلم: ٥١١).

مؤخرة الرحل: قدر عظم الذراع وهو نحو ثلثي ذراع، ويحصل بأي شيء أقامه بين يديه. (مسلم بشرح النووي: ٢/٤٥٩).

ونذكر أقوال أهل العلم في المسألة:

أولًا: من قال بعدم قطع الصلاة:

جاء في بدائع الصنائع (١/٢٤١): "ومرور المرأة والحمار والكلب بين يدي المصلي لا يقطع الصلاة عند عامة العلماء".

قال ابن عبد البر في التمهيد (٢/٣٤٥): "والصحيح عندنا أن الصلاة لا يقطعها شيء مما يمر بين يدي المصلي بوجه من الوجوه، ولو كان خنزيرًا، وإنما يقطعها ما يفسدها من الحدث وغيره-مما جاءت به الشريعة".

جاء في المجموع (٣/٢٣٠،٢٢٩) باختصار: "وإذا صلى إلى سترة فمر بينه وبينها رجل، أو امرأة، أو صبي، أو كافر، أو كلب أسود، أو حمار، أو غيرها من الدواب لا تبطل صلاته عندنا. قال الشيخ أبو حامد والأصحاب: وبه قال عامة أهل العلم إلا الحسن البصري فإنه قال: «تبطل بمرور المرأة، والحمار، والكلب الأسود فقط»... واحتج لأصحابنا والجمهور بحديث مسروق قال: ذكروا عند عائشة رضي الله عنها ما يقطع الصلاة فذكروا الكلب، والحمار، والمرأة، فقالت: «شَبَّهْتُمُونَا بِالحُمُرِ، وَالكِلاَبِ، وَاللهِ لَقَدْ رَأَيْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم يُصَلِّي وَإِنِّي عَلَى السَّرِيرِ بَيْنَهُ، وَبَيْنَ القِبْلَةِ» رواه البخاري ومسلم. واحتج بحديث ابن عباس أيضًا.... وأما الجواب عن الأحاديث التي احتجوا بها فمن وجهين أصحهما وأحسنهما ما أجاب به الشافعي، والخطابي، والمحققون من الفقهاء والمحدثين أن المراد بالقطع، القطع عن الخشوع والذكر للشغل بها والالتفات إليها لا أنها تفسد الصلاة.

قال النووي في شرح مسلم (٢/٤٦٨): "وقال مالك، وأبو حنيفة، والشافعي رضي الله عنهم، وجمهور العلماء من السلف والخلف: لا تبطل الصلاة بمرور شيء من هؤلاء ولا من غيرهم، وتأويل هذا الحديث على أن المراد بالقطع: نقص الصلاة، لشغل القلب بهذه الأشياء وليس المراد إبطالها".

قال البيهقي رحمه الله: "ويدل على صحة هذا التأويل أن ابن عباس أحد رواة قطع الصلاة بذلك، ثم روي عن ابن عباس أنه حمله على الكراهة، فهذا الجواب هو المعتمد".

جاء في المغني (٢/١٥٩): "لا يقطع الصلاة إلا الكلب الأسود البهيم: يعني إذا مر بين يديه. هذا المشهور عن أحمد رحمه الله نقله الجماعة عنه. قال الأثرم: سئل أبو عبد الله: ما يقطع الصلاة؟ قال: لا يقطعها عندي شيء إلا الكلب الأسود البهيم وهذا قول عائشة، وحكي عن طاوس، وروي عن معاذ، ومجاهد أنهما قالا: الكلب الأسود البهيم شيطان: وهو يقطع الصلاة. ومعنى البهيم: الذي ليس في لونه شيء سوى السواد".

ثانيًا: من قال بقطع الصلاة:

قال ابن حزم في المحلى (٢/٣٢٠) مسألة ٣٨٥: "ويقطع صلاة المصلي كون الكلب بين يديه، مارًا أو غير مار، صغيرًا أو كبيرًا، حيًّا أو ميتًا، أو كون الحمار بين يديه كذلك أيضًا، وكون المرأة بين يدي الرجل، مارة أو غير مارة، صغيرة أو كبيرة إلا أن تكون مضطجعة معترضة فقط، فلا تقطع الصلاة حينئذٍ، ولا يقطع النساء بعضهن صلاة بعض".

قال الشوكاني في النيل (٣/١٥): "وأحاديث الباب تدل على أن الكلب، والمرأة، والحمار تقطع الصلاة، والمراد بقطع الصلاة: إبطالها، وقد ذهب إلى ذلك جماعة من الصحابة منهم: أبو هريرة، وأنس، وابن عباس في رواية عنه".

جاء في المغني (٢/١٥٩): "وعن أحمد رواية أخرى: أنه يقطعها الكلب الأسود والمرأة إذا مرت والحمار... وحديث ابن عباس: مررت بين بعض الصف ليس بحجة لأن سترة الإمام سترة لمن خلفه".

تعقيب وترجيح:

والذي يظهر لي في هذه المسألة هو ما ذهب إليه أكثر أهل العلم منهم، مالك، وأبو حنيفة، والشافعي، وغيرهم من أن مرور المرأة لا يقطع الصلاة، أما القطع الذي جاء في الحديث هو قطع الخشوع للانشغال بهذه الأشياء، والذي يقوي ذلك عندي أن المصلي الذي أتى بشروط وأركان وواجبات الصلاة فقد أدَّى ما عليه، لا سيما لو صلى إلى سترة فقد بذل بذلك ما في وسعه، والله تبارك وتعالى يقول: « لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا » (البقرة: ٢٨٦)، وأما الذي يأثم هو الذي مرَّ بين يدي المصلي لمخالفته أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم، والله تعالى أعلم.

وللحديث بقية إن شاء الله،

والحمد لله رب العالمين.

عزاء واجب

توفي إلى رحمة الله- بإذنه تعالى- الحاج محسن أمين فهمي، صاحب مجموعة مطابع بريزدان للكارتون، والد المهندس محمد محسن أمين، مدير عام الشركة، وأمين صندوق فرع العاشر من رمضان.

وأسرة تحرير مجلة التوحيد واللجنة العلمية يتقدمون بخالص العزاء والمواساة، ونسأل الله له الرحمة والمغفرة.

كما توفي إلى رحمة الله- بإذنه تعالى- الشيخ أشرف عنتر، عضو مجلس إدارة أنصار السنة المحمدية بفرع السرو- دمياط- فاللهم اغفر له وارحمه وتجاوز عنه.

رئيس التحرير

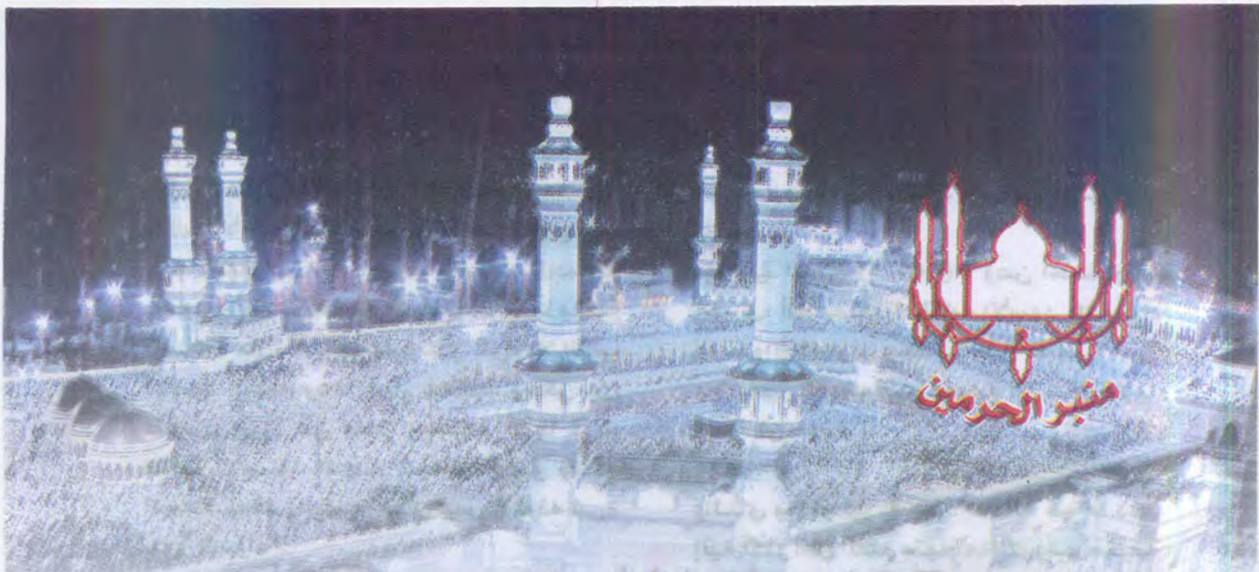

مواقف من ساعة الاحتضار

الحمد لله، الحمد لله العظيم الجليل، أحمده- سبحانه- وأشكره، وهو حسبنا ونعم الوكيل، منَح الكثيرَ وأعطى الجزيلَ، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة صادقة مخلصة، هي الزخر ليوم الرحيل، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبد الله ورسوله، المؤيَّد بمعجزة التنزيل، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه، أهل الفضل والتبجيل، والتابعين ومن تبعهم بإحسان، فلزم الحق واستقام على السبيل.

أما بعد: فأوصيكم-أيها الناس- ونفسي بتقوى الله؛ فاتقوا الله-رحمكم الله-، والزموا جادة الصدق، فلا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يُكتبِ عند الله صديقًا، ولا أشَرَّ من الكذب؛ فلا يزال الرجل يكذب ويتحرَّى الكذب حتى يُكتبِ عند الله كذَّابًا.

وسلامة الصدر من نعيم أهل الجنة (وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ) (الْحِجْر: ٤٧)، ومن البلاء أن يشتغل العبد بالخصوماتَ والمشاحَنات؛ فتسامَحْ-حفظك الله- وتغافَلْ وأحْسن الظنَّ، ومن لم تجد له عذرًا فقل: لعل له عذَرًا، (وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ) (فُصِّلَتْ: ٣٤-٣٥).

إعداد الشيخ د: صالح بن عبد الله بن حميد

خطيب المسجد الحرام

من أعظم النعم على العبد حياة قلبه:

إن من أعظم نعم الله على عبده أن يرزقه قلبًا حيًّا، فيتذكر ويتنبَّه، ويستحضر بعض الأحوال، والمتغيرات والتقلبات التي تمتلئ بها هذه الحياة، والحياة كلها عبر، وكلها تحولات ومتغيرات، بعضها أعظم من بعض، وبعضها يُنسي بعضًا، غيرَ أن هناك حالة أو موقفًا قلَّما وقَف عندَه الإنسانُ، وإن وقف عندَه فإنه لا يُعطيه حقَّه من النظر والتفكير، هذا الموقف يصوِّره الحافظُ ابن الجوزي-رحمه الله- حين يقول: "أظرفُ الأشياءِ إفاقةُ المحتَضَرِ عندَ موته؛ فإنه يتنبَّه انتباهًا لا يُوصَف، ويَقلق قلقًا لا يُحَدّ، ويتلهَّف على زمانه الماضي، ويودُّ لو تُرِكَ كي يتدارك ما فاته، ويصدق في توبته على مقدار يقينه بالموت... ثم قال-رحمه الله-: فالعاقل مَنْ مَثَّل تلك الساعةَ، أو عَمِلَ بمقتضى ذلكٍ".

إن هذا التذكر يكفُّ الهوى، وهذا التمثل يبعث على الجد ويحفظ الوقت، ويصلح العمل، يستذكر حاله، وهو في عافية سابغة، وحياة ممتدة ليتزود من الذِّكْر والشكر وحُسْن العبادة، ساعة الاحتضار-عباد الله- هي الساعة التي يكون فيها الإنسان بين الموت والحياة، وهي ساعة إذا جاءت يعلم الإنسانُ يقينًا أنه سيموت، فليس

في هذه الساعة كَذِبٌ، وليس فيها مَهْرَبٌ، فيُرفع له من الحُجُب ما يعرف جزمًا أن آخرته قد جاءت، ويُكشف عنه غطاءُ الدنيا، فيرى شيئًا لم يره من قبل.

معاشر الأحبة: وهذه وقفات مع هذه الأحوال، ومع أصحابها حينما ينزل بهم الأجل أو حينما يكونون في حال من اليأس والعجز.

وقفات مع ساعة الاحتضار:

الإنسان في هذه الدنيا في حال الصحة والرخاء والغفلة يكون ذا مال أو جاه أو ذا منصب فهو حينئذٍ ملء السمع والبصر، وحوله مَنْ يحيط به منِ حاشيته وأتباعه يعيشٍ آمالاً عراضًا وخططًا واسعة، فإذا أدركته حالةُ الاحتضار أو أصابه حالُ يأسٍ من مرض أو حادث مُقعد ماذا يكون حاله؟ وما هي مشاعره؟ وما هي أَمانيه؟ وعلى ماذا يتحسر؟ قد انفض الناس من حوله وابتعد عنه أربابُ المصالح والأغراض، لقد أصبح في حالة أدرَكَ فيها أن الغبطة هي في القلب السليم، وصلاح العمل، وحُسْن العبادة، والخُلُق الكريم، وصفاء السريرة وحُسْن السيرة، والإيثار ونفع الناس، (وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ (٨٧) يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (٨٨) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ) (الشُّعَرَاءِ: ٨٧-٨٩).

إنه في حال الاحتضار أو حال العجز يتفكر ويتأمل: هل كانت الدنيا تستحق كل هذا؟ عداوات وحَسَدًا، ومنافَسات وتقديم هذا وتأخير هذا، وإهمال هذا وتقريب هذا، وإعراضًا عن هذا وغفلة عن ذاك، غفلة عن حقوق الأهل وتربية الأولاد، تربية وإصلاحًا، بل تقصير في حق النفس صحة وراحة واستقرارًا وعبادة وإحسانًا، في هذه الحال تنقطع الآمال وتتقاصر التطلعات (لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ) (ق: ٢٢).

لقد أدرك هذا المحتضَر، وأدرك هذا العاجز أن الذين قبله كانوا يحرصون كما يحرص، ويسعون كما يسعى، ويعلمون في الدنيا عمله، ويكدون كدَّه فاختَطَفَت المنونُ أرواحَهم، وقطعت الآجالُ آمالَهم، وفجعتهم في أحبابهم، جمعوا فكان جَمْعُهم ميراثًا، وبَنَوْا فكان بناؤهم تُراثًا، يغفلون عن الآخرة وهي مقبِلة، ويقبلون على الدنيا وهي مدبرة.

في أحوال الاحتضار مشاهدُ شتى ومواقف مختلفة، (وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ) (سَبَأ: ٥٤)، (إِنَّ هَٰؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا) (الإِنْسَانِ: ٢٧)، إنهم في حال التذكر وحال المحاسَبةِ يقول: وهل ينفع يومئذ القول؟ يقول: لو كنتُ تفكرتُ قليلاً في حال الدنيا وفي حال الآخرة لعلمتُ أن في الصلاح وحُسْن العمل وحُبّ الخير للناس أَسْلَمُ الطرقِ وأنجى المسالك، أين ضجيجُ الجاهِ، وأين جلبةُ الأَعوان وكثرة العلاقات والاتصالات؟ لقد أدرك أن رفع الدرجات وسُلَّم الترقيات هي عند الله وحدَه، وأن عُلُوَّ المقام هو في التقرب من الله، وإحسان العبودية والإخلاص وليس في مَراتِبِ أهلِ الدنيا، ومناصبهم وجاههم وأموالهم.

في هذه الحال تنقطع الآمال وتقصُر التطلعات، فمنهم من يقول: (لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ) (المُؤْمِنَونَ: ١٠٠)، ومنهم مَنْ يقول: (رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ) (المُنَافِقُونَ: ١٠)، ومنهم من يقول: (يَا حَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ) (الزُّمَر: ٥٦)، والجواب للجميع: (أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ) (فَاطِرِ: ٣٧).

ويا وَيح من يقول: (وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ (٩٩) فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ (١٠٠) وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ (١٠١) فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (١٠٢) إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً) (الشُّعَرَاءِ: ٩٩-١٠٣).

ويا لَسعادة مَنْ تتنزَّل عليهم الملائكةُ: (أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ (٣٠) نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ (٣١) نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ) (فُصِّلَتْ: ٣٠-٣٢)، ويا لَفوز مَنْ: (لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ) (الأَنْبِيَاءِ: ١٠٣).

أحوال بعض السلف في ساعة الاحتضار:

هذه أحوال بعض السلف، وما أُثِرَ عنهم في مثل هذه الساعات، فهذا سلمان الفارسي-رضي الله عنه- فيما (رواه أحمد، والحاكم، وابن ماجه) لَمَّا مَرِضَ خرَجَ إليه سعدُ بن أبي وقاص من الكوفة يعوده، فَوَافَقَهُ وَهُوَ في المَوْت يَبْكِي، فَسَلَّمَ، وَجَلَسَ، وَقَالَ: "مَا يُبْكِيكَ يَا أَخي؟ أَلا تَذْكُرُ صُحْبَةَ رَسُوْلِ اللهِ؟ أَلا تَذْكُرُ المَشَاهِدَ الصَّالِحَةَ؟"، قَالَ: "وَاللهِ مَا

يُبْكِينِي وَاحِدَةٌ مِنْ ثِنْتَيْنِ، مَا أَبْكِي حُبًّا بِالدُّنْيَا، وَلا كَرَاهِيَةً لِلقَاءِ اللَّهِ". قَالَ سَعْدٌ: "فَمَا يُبْكِيكَ بَعْدَ ثَمَانِيْنَ؟"، قَالَ: "يُبْكِيْنِي أَنَّ خَلِيْلِي عَهِدَ إِلَيَّ عَهْدًا، فَقَالَ: "لِيَكُنْ بَلَاغُ أَحَدِكُمْ مِنَ الدُّنْيَا كَزَادِ الرَّاكِبِ"، وَإِنَّا قَدْ خَشِينَا أَنَّا قَدْ تَعَدَّيْنَا". هذا هو سلمان-رضي الله عنه- يخشى أن يكون قد تعدَّى، فماذا يقول مَنْ تعدَّى حقيقةً؟ ماذا يقول مَنْ تعدَّى على الأموال فنهبها، وتعدَّى على حدود الله فانتهكها، وتعدى على أعراض الناس ولحومهم فنهشها، وتعدى على عقائد الناس وأخلاقهم فأفسدها؟

هذه هي المحاسبة، هل تعدَّى؟ هل قصَّر؟ هل بدَّل؟ هل غيَّر؟

وهذا عمرو بن العاص- رضي الله عنه- جزع جزعًا شديدًا عند الموت، فقال له ابنه عبد الله: "مَا هَذَا الْجَزَعُ، وَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ-صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ- يُدْنِيكَ وَيَسْتَعْمِلُكَ؟"، قَالَ: "أَيْ بُنَيَّ، قَدْ كَانَ ذَلِكَ، وَسَأُخْبِرُكَ عَنْ ذَلِكَ: إِنِّي-وَاللَّه- مَا أَدْرِي أَحُبًّا كَانَ ذَلِكَ، أَمْ تَأَلُّفًا يَتَأَلَّفُنِي، وَلَكِنِّي أَشْهَدُ عَلَى رَجُلَيْنِ أَنَّهُ قَدْ فَارَقَ الدُّنْيَا وَهُوَ يُحِبُّهُمَا: ابْنُ سُمَيَّةَ، وَابْنُ أُمِّ عَبْدٍ". فَلَمَّا جَدَّ بِه، يعني: اشتدت عليه سكراتُ الموت وَضَعَ يَدَهُ مَوْضِعَ الْأَغْلَالِ مِنْ ذَقْنِه وَقَالَ: "اللهُمَّ أَمَرْتَنَا فَتَرَكْنَا، وَنَهَيْتَنَا فَرَكِبْنَا، وَلَا يَسَعُنَا إِلَّا مَغْفِرَتُكَ"، وَكَانَتْ هذه كلماته-رضي الله عنه- وهو شديد الاحتضار حتى خرجت روحه وفارق الدنيا؛ "اللهُمَّ أَمَرْتَنَا فَتَرَكْنَا، وَنَهَيْتَنَا فَرَكِبْنَا، وَلَا يَسَعُنَا إِلَّا مَغْفِرَتُكَ".

اللهم أَحسنْ عاقبَتَنا في الأمور كلها، وأَجِرْنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة، اللهم اجعلنا ممن يفرح بلقائك وينعم بعفوك وعطائك، واجعلنا من حزبك وأوليائك، اللهم هَوِّنْ علينا سكرات الموت، اللهم توَفَّنا وأنتَ راضٍ عنا.

وأخبار القوم لا تنتهي وكل واحدة أعجب من أختها.

الوصية باغتنام الحياة والصحة والفراغ:

وبعدُ-أيها الأحياء-، وبعدُ-أيها الأصحاء-: أنتم تقدرون على ما لا يقدر عليه أهلُ القبور، فاغتَنموا الصحةَ والفراغَ قبل يوم الغرغرة وقبل يوم الحساب، فكلُّ يوم يعيشه المرء، بل كل ساعة يعيشها هي غنيمة، ومن اتقى الله فيما بقي غُفِرَ له ما قد مضى وما قد بقي، وَمَن استعمل صحتَه وفراغَه في الطاعة فهو المغبوط، وَمَن استعمَلَها في المعصية فهو المغبون، الفراغِ يَعقَبه شغلٌ، والصحة يعقبها سقمٌ، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: (كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ مَنْ ۜ رَاقٍ ﴿٢٧﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ ﴿٢٨﴾ وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ) (الْقِيَامَة: ٢٦-٣٠).

السعيد من اتعظ بغيره:

أما بعد: أيها المسلمون: من مَعالم العظة والاتعاظ أن تعلموا أن الأعمال بالخواَتيم، والسعيد من وُعظَ بغيره، وكل متعة يعقبها موت فهي هباء، (أَفَرَأَيْتَ إِن مَّتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَاءَهُم مَّا كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يُمَتَّعُونَ) (الشُّعَرَاءِ: ٢٠٥-٢٠٧).

ومن معالم العظة-عباد الله-: أن يدرك المرء أن الأيام خزائن وما مضى فإنه لا يعود، ولا ذكر بغير إنابة، ولا انتفاع بغير استجابة، وتأملوا هذه اللفتة من الإمام الحافظ ابن القيم-رحمه الله- فهو يقول: "فمن كان مشغولاً بالله، وذكره، ومحبته، وطاعته في حياته وَجَدَ ذلك أحوج ما هو إليه عند خروج روحه، ومن كان مشغولاً بغيره في حياته وصحبته فيعسر عليه اشتغاله بالله وحضوره عند الموت، ولا يثبُت إلا أهلُ الطاعة الصادقونَ الصابرونَ، فهم لا تزيغ قلوبهم ساعة الاحتضار ولا تنال منهم الشياطين شيئًا".

ألا فاتقوا الله-رحمكم الله- واعلموا أن مما أوصى به السلف-رحمهم الله- عند الاحتضار حُسْنَ الظن بالله؛ بأن يظن بما يليق بالله-عز وجل-، وما تقتضيه أسماؤه الحسنى وصفاته العليا، فيرجو رحمةَ الله وفضلَه وعفوَه وإحسانَه وغفرانَه وسعةَ رحمته، ويكون ذلك حين يتحدث الذين حول هذا المحتضَر عن محاسن أعماله وجميل ما قدَّم من خير وفَضل، والحسرة لمن لم يكن له محاسن وفضائل يرجوها عند ربه.

وحُسْن الظن بالله هو أعلى درجات التوكل، ولا يتوكل على الله حق التوكل إلا من أحسنَ الظن به-سبحانه-.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

باب الفقه

أحكام الصلاة

صلاة التطوُّع

الحلقة الثانية

إعداد **د. حمدي طه**

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

بدأنا في الحلقة السابقة الحديث عن صلاة التطوع، وذكرنا فضلها وأنواعها، وتحدثنا عن السنن الرواتب المؤكدة المرتبطة بالصلوات الخمس القبلية والبعدية، ورجحنا أن عددها اثنتا عشرة ركعة، ونكمل الحديث فيما بدأناه:

أولًا: السنن الرواتب المرتبطة بالصلوات الخمس:

تنقسم السنن الرواتب المرتبطة بالصلوات الخمس إلى رواتب قبلية يستعد المصلي من خلالها بين يدي ربه استحضارًا لخشيته واستعدادًا لما هو مُقبل عليه من الطاعة فيدخل إلى الصلاة، وقد نسي مشاغل الدنيا ورواتب بعدية تجبر ما نقص من الفرائض من سنن وآداب وخشوع، وقد سبق بيان ذلك.

وقد سبق الحديث عن عدد السنن الراتبة المؤكدة، ورجحنا كونها اثنتي عشرة ركعة، أما الرواتب غير المؤكدة وهي التي صلاها النبي صلى الله عليه وسلم أحيانًا وتركها أخرى؛ فهي سُنَّة العصر، وهي رِكعتان أو أربِع، فمن شاء صلى ركعتين، ومن شاء صلى أربعًا، وتُؤدَّى هذه السُّنة قبل صلاة العصر، ودليل ذلك حديث عبد الله بن شقيق قال: سألت عائشة عن صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت: "كان يصلي أربعًا قبل الظهر، وثنتين بعدها، وثنتين قبل العصر، وثنتين بعد المغرب، وثنتين بعد العشاء.." الحديث رواه أحمد، وقال شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم.

وحديث ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «رحم الله امرأ صلى قبل العصر أربعًا» رواه أحمد وأبو داود، وقال الألباني: حسن.

أما الركعتان بعد العصر فقد اختُلفَ فيهما اختلافًا كبيرًا، قال الخطابي: "صلاة النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الوقت قيل: إنه مخصوص بذلك، وقيل: إن الأصل فيه أنه صلاها يومًا قضاء لفائت ركعتي الظهر، وكان صلى الله عليه وسلم إذا فعل فعلًا واظب عليه ولم يقطعه فيما بعد، وقيل: إنه صلى بعد العصر تنبيهًا لأمته أن نهيه صلى الله عليه وسلم عن الصلاة بعد الصبح وبعد العصر على وجه الكراهية لا على وجه التحريم. (عون المعبود العظيم آبادي ١١٣/٤).

وقال بعض أهل العلم إنها سنة، أو جائزة، وسنعرض الأدلة التي احتج بها كل فريق فيما يلي:

١- أدلة من قال بالجواز

عن عائشة رضي الله عنها قالت: (ركعتان لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعهما سرًا ولا علانية: ركعتان قبل صلاة الصبح، وركعتان بعد العصر" أخرجه البخاري (١٥٦/١) ومسلم (٢١١/٢).

وعن عائشة قالت: "أشهد أنه لم يأت في يومي قط إلا صلى بعد العصر ركعتين". (صحيح أبي داود).
وهذا الحديث يدل على جواز الصلاة بعد العصر، ويؤيده ما روي عن عبد الله بن رباح عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى العصر، فقام رجل يصلي، فرآه عمر، فقال له: "اجلس، فإنما هلك أهل الكتاب أنه لم يكن لصلاتهم فصل" الحديث. قال الألباني: "وهذا إسناد صحيح رجاله ثقات رجال البخاري، وجهالة الصحابي لا تضر، وهو أبو رمثة كما في رواية أبي داود ١٠٠٧.

وهو يدل على جواز الصلاة بعد العصر؛ لأنه لو كان غير جائز، لأنكر ذلك على الرجل أيضًا كما هو ظاهر، وهو مطابق لما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يصلي بعد العصر ركعتين، ويدل على أن ذلك ليس من خصوصياته صلى الله عليه وسلم، وما صح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: "لا صلاة بعد العصر حتى تغرب الشمس" محمول على ما إذا كانت الشمس مصفرة، لأحاديث صحَّت مقيدة بذلك. (السلسلة الصحيحة للألباني ٤٨/٦).

قالوا: وجاء عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه القول الفصل في ذلك، فإنه رأى زيد بن خالد يصلي بعد العصر، فضربه بالمقرعة وهو في الصلاة، فلما أنهى صلاته قال: لماذا تضربني يا أمير المؤمنين؟! فقال: أتصلي بعد العصر؟ فقال: نعم، أصلي ركعتين، ولن أتركهما، فاضرب كما تريد! فقال: يا زيد! إني لم أضرب عليهما إلا أني خشيت أن يتمادى الناس بالصلاة بعد العصر إلى أن تغرب الشمس، وقد قال صلى الله عليه وسلم: "لا تحروا بالصلاة غروب الشمس فإنها تغرب بين قرني شيطان"، وبيَّن علة أخرى للنهي بقوله عليه الصلاة والسلام: "فإن قومًا يسجدون لها في ذلك الوقت"، وكره أن يشابه المسلم الكافرين بالصلاة في ذلك الوقت، ومن مقاصد الشرع مخالفتهم.

إذًا عمر كان يضرب عن الصلاة بعد العصر سدًّا للذريعة، حتى لا يصلي أحد عند الغروب. (شرح بلوغ المرام لعطية بن محمد سالم).

قالوا: والآثار قد تعارضت في الصلاة بعد العصر، والصلاة فعل خير، وقد قال الله عز وجل: (وافْعَلُوا الخَيْرَ) (الحج:٧٧)، فلا يجوز أن يمتنع من فعل الخير، إلا بدليل لا مُعارض له، وممن رخَّص في التطوع بعد العصر عليُّ بن أبي طالب، والزبير، وابنه عبدالله، وتميم الداري، والنعمان بن بشير، وعائشة، وأم سلمة، أمَّا المؤمنين، وإن أبا أيوب الأنصاري كان يصلي قبل خلافة عمر ركعتين بعد العصر، فلما استخلف عمر تركهما، فلما توفي عمر ركعهما، فقيل له: ما هذا؟ فقال: إن عمر كان يضرب الناس عليهما، وقال أحمد بن حنبل: لا نفعله ولا نعيب من فعله. (انظر التمهيد ابن عبد البر ٣٧/١٣).

هذا وقد روى ابن أبي شيبة عن جماعة من السلف أنهم كانوا يصلون هاتين الركعتين بعد العصر، منهم أبو بردة بن أبي موسى، وأبو الشعثاء، وعمرو بن ميمون، والأسود بن يزيد، وأبو وائل، ويتلخص مما سبق أن الركعتين بعد العصر سُنَّة إذا صليت العصر معها قبل اصفرار الشمس، وأن ضرب عمر عليها إنما هو اجتهاد منه وافقه عليه بعض الصحابة، وخالفه آخرون، وعلى رأسهم أم المؤمنين رضي الله عنها، ولكل من الفريقين موافقون، فوجب الرجوع إلى السنة" (انظر السلسلة الصحيحة للألباني ٤١٩/٦).

وأجابوا عن ذلك بأن هذه الأحاديث تُحمَل على أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد صلى الركعتين بعد العصر قضاءً لراتبة الظهر البعدية عندما شغل عنهما مرة فلم يصلهما، فصلاهما عقب صلاة العصر ثم استمر يصليهما عقب صلاة العصر؛ لأنه صلى الله عليه وسلم كان إذا صلى صلاة داوم عليها، وهذا من خصوصياته لا يُقتدَى به فيه. وقد رأى عدد من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك، فظنوا أنه من المباحات أو المسنونات اقتداء به، فنقلوا ما شاهدوه وأفتَوا بمشروعيته.

٢- أدلة من قال بأنها ليست سنة:

عن كُرَيب أن ابن عباس، والمِسْوَر بن مَخْرَمة، وعبد الرحمن بن أزهر رضي الله عنهم أرسلوه إلى عائشة رضي الله عنها، فقالوا: اقرأ عليها السلام منا جميعًا، وسَلْها عن الركعتين بعد صلاة العصر وقل لها: إنَّا أخبرنا أنكِ تُصلِّينهما، وقد بلغَنا أن

النبي صلى الله عليه وسلم نهى عنهما، وقال ابن عباس: وكنت أضرب الناس مع عمر بن الخطاب عنهما، فقال كريب: فدخلت على عائشة رضي الله عنها فبلغتها ما أرسلوني فقالت: سَلْ أمَّ سلمة، فخرجت إليهم فأخبرتهم بقولها، فردُّوني إلى أم سلمة بمثل ما أرسلوني به إلى عائشة، فقالت أم سلمة رضي الله عنها: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم ينهى عنهما، ثم رأيته يصليهما حين صلى العصر، ثم دخل وعندي نسوةٌ من بني حَرَام من الأنصار، فأرسلتُ إليه الجارية فقلت: قومي بجنبه فقولي له: تقول لك أم سلمة: يا رسول الله سمعتك تنهى عن هاتين وأراك تصليهما، فإن أشار بيده فاستأخري عنه، ففعلت الجارية فأشار بيده فاستأخرت عنه، فلما انصرف قال: يا بنت أبي أمية، سألتِ عن الركعتين بعد العصر، وإنه أتاني ناسٌ من عبد القيس فشغلوني عن الركعتين اللتين بعد الظهر، فهما هاتان» رواه البخاري ومسلم.

ووجه الدلالة أن عائشة رضي الله عنها كانت ترى رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي ركعتين عقب العصر، ولما لم تكن تعلم سببهما فقد ظننتهما سُنَّة لعموم المسلمين، فكانت تفتي بذلك. أما سبب الركعتين هاتين فقد عَلمَتْه أم سلمة رضي الله عنها، من أنه عليه الصلاة والسلام كان قد شُغلَ عن ركعتي الظهر البعديتين فقضاهما عقب صلاة العصر، ثم داوم على أدائهما، وهذا ينفي عنهما أنهما سُنَّة لعموم المسلمين.

٢- لقد نُقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من طرق صحيحة أنه كان ينهى عن الصلاة بعد العصر، فلما ثبت لنا ذلك ثم رأيناه عليه الصلاة والسلام يُصلي بعد العصر أدركنا أن ذلك من خصوصياته، وأن هذا المعنى منقول عنه أيضًا.

٣- عن ربيعة بن درَّاج أن علي بن أبي طالب سبَّح بعد العصر ركعتين في طريق مكة، فرآه عمر فتغيَّظ عليه ثم قال: أمَا والله لقد علمتَ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عنهما» رواه أحمد. فهذا الحديث يدل صراحة على ثبات حكم النهي عن الصلاة بعد العصر.

وعن معاوية بن أبي سفيان قال: «إنكم لَتُصلُّون صلاة، لقد صحبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فما رأيناه يصليهما، ولقد نهى عنهما، يعني الركعتين بعد العصر» رواه البخاري.

عن عائشة رضي الله عنها «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلي بعد العصر وينهى عنها، ويواصل وينهى عن الوصال». رواه أبو داود. فدل على أن ذلك من خصوصيات النبي صلى الله عليه وسلم.

تلخص من كلامهم أن القول بالسُّنَّة البعدية لصلاة العصر لم يقل به سوى عائشة، وابن الزبير فيما رُوي عنهما من آثار، وقد رأيتم كيف حصل ذلك منهما، ولم يفعلها سوى عليٍّ رضي الله عنه، وقد رأيتم كيف أن عمر رضي الله عنه قد أنكرها عليه، وذكَّره بالنهي عنها. (انظر الجامع لأحكام الصلاة لمحمود عويضة).

وهناك أدلة أخرى للفريقين تركنا ذكرها خشية الإطالة.

وأما سُنَّة المغرب فهي ركعتان قبل الصلاة المفروضة، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «كان المؤذِّن إذا أذَّن قام ناسٌ من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يبتدرون السواري، حتى يخرج النبي صلى الله عليه وسلم وهم كذلك، يصلون الركعتين قبل المغرب، ولم يكن بين الأذان والإقامة شيء» رواه البخاري ومسلم.

وعن عبد الله المُزَني عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «صلوا قبل صلاة المغرب، قال في الثالثة: لمن شاء، كراهية أن يتخذها الناس سُنَّة» رواه البخاري.

وهذه السُّنَّة لم يُعرف أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاها يومًا، لذا فإنها تصنَّف في أدنى الدرجات بالنسبة للسنن الملحقة بالرواتب المؤكدة.

وأما سُنَّة العشاء الملحقة بالرواتب فهي ركعتان اثنتان، أو ركَعاتٌ أربعٌ تضاف إلى ركعتي العشاء البعديتين الراتبتين المؤكَّدتين، فعن شريح بن هاني قال: «سألت عائشة عن صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم، قالت: لم تكن صلاةٌ أخرى أن يؤخِّرها إذا كان على حديث من صلاة العشاء الآخرة، وما صلاها قط فدخل عليَّ إلا صلى بعدها أربعًا أو ستًّا..» رواه أحمد والنسائي وأبو داود.

قوله أربعًا أو ستًّا: أي يشمل الراتبتين والسُّنة الملحقة.

وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

الحياء وأثره في حياة الأمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فإن من مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال التي دعت إليها الشريعة ورغَّبت فيها "خُلُق الحياء"، فهو عمدة الأخلاق وسيدها، وأعظمها قدرًا، وأكثرها نفعًا، وهو خُلُق الإسلام، وقرين الإيمان، ومنبع كل خير، وبه تحيا القلوب وتسمو النفوس، وتسعد في الدنيا والآخرة.

ويأتي هذا المقال؛ تأكيدًا لهذه المعاني النبيلة، ودعوةً للتحلي والتخلق بهذا الخُلُق النبيل، فنقول وبالله تعالى التوفيق:

إعداد/ معاوية محمد هيكل

أولا: تعريف الحياء

الحياء لغة:

مصدر حيي من الحياة، والغيث يسمى حَيَا -بالقصر- لأن به حياة الأرض والنبات والدواب، وكذلك سميت "بالحياء" حياة الدنيا والآخرة، فمن "لا حياء" فيه فهو ميت في الدنيا شقي في الآخرة" (الجواب الكافي: ص٨٣).

قال ابن القيم رحمه الله: (ولهذا كان خلق "الحياء" مشتقًا من "الحياة" اسمًا وحقيقة فأكمل الناس "حياة" أكملهم حياء، ونقصان "حياء" المرء من نقصان "حياته"، فإن الروح إذا ماتت لم تحس بما يؤلمها من القبائح، فلا تستحي منها، فإذا كانت صحيحة الحياة أحست بذلك، فاستحيت منه) (تهذيب مدارج السالكين ٢/٩٤٨)

وفي الشرع:

"خُلُق يبعث على اجتناب القبيح من الأفعال، والأقوال، ويمنع من التَّقصير في حقّ ذي الحق. "الموسوعة الفقهية" (١٨/ ٢٥٩).

ثانيا: الحَياءُ نوعَان:

جبلّيٌ غَريزيٌ وكَسبيٌ إيمَانيٌ:

قَالَ ابن رجب: "اعْلَمْ أَنَّ الْحَيَاءَ نَوْعَان: أَحَدُهُمَا: مَا كَانَ خُلُقًا وَجبلَّةٍ غَيْرَ مُكْتَسَب، وَهُوَ منْ أَجلِّ الْأَخْلَاقِ الَّتي يَمْنَحُهَا اللَّه الْعَبْدَ وَيَجْبُلُهُ عَلَيْهَا".

النَّوْعُ الثَّاني:

"مَا كَانَ مُكْتَسَبًا منْ مَعْرفَة الله، وَمَعْرفَة عَظَمَته وَقُرْبه منْ عبَاده، وَاطِّلَاعه عَلَيْهمْ، وَعلْمه بخَائنَة الْأَعْيُن وَمَا تُخْفي الصُّدُورُ، فَهَذَا منْ أَعْلَى خصَال الْإيمَان، بَلْ هُوَ منْ أَعْلَى دَرَجَات الْإحْسَان". (جامع العلوم والحكم ١/ ٥٠٢).

قَالَ الْقُرْطُبِيُّ في الْمُفْهم: "وَكَانَ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم قَدْ جُمعَ لَهُ النَّوْعَان منْ الْحَيَاء الْمُكْتَسَب وَالْغَريزيِّ، وَكَانَ في الْغَريزيِّ أَشَدَّ حَيَاءً منْ الْعَذْرَاء في خدْرهَا، وَكَانَ في الْمُكْتَسَب في الذُّرْوَة الْعُلْيَا صلى الله عليه وسلم. (المفهم ١/١٣٦).

ثالثا: الترغيب في الحياء في القرآن والسنة:

أولًا: في القرآن الكريم:

قال تعالى: (وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ) (الأعراف:٢٦).

فُسِّر لباس التَّقوى بأنَّه الحَيَاء كما رُوِي عن الحسن. (تفسير الألوسي ٤/٣٤٤)

وعن معبد الجهني قال: لباس التقوى الحياء

(تفسير القرطبي ٨/ ١٧٥).

وقال تعالى: (فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا) (القصص: ٢٥)..قال عمر رضي الله عنه: "ليست بسلفع من النساء خَرَّاجة ولَّاجَة ولكن جاءت مستترة قد وضعت كُم درعها على وجهها" (الدر المنثور ١٢٤/٥). سلفع: يعني: سليطة جريئة

قال الطبري: (فأَتَتْهُ تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ، وهي تَسْتَحْيِي منه) (جامع البيان ٢٢١/١٨).

"وهذا يدل على كرم عنصرها، وخلقها الحسن، فإن الحياء من الأخلاق الفاضلة، وخصوصا في النساء" (تفسير السعدي ١٢٧٧).

ثانيا: في السُّنَّة النَّبويَّة:

(١) الحياء خلق الإسلام:

عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِنَّ لِكُلِّ دِينٍ خُلُقًا، وَخُلُقُ الْإِسْلَامِ الْحَيَاءُ) (السلسلة الصَّحيحة ٩٤٠).

"يعني: الغالب على أهل كل دين طبع وسجية سوى الحياء، والغالب على سجية أهل الإسلام التي بها قوامه وجماله "الحياء"، لأنه متمِّمٌ لمكارم الأخلاق التي بعث صلى الله عليه وسلم لإتمامها، ولما كان الإسلام أشرف الأديان، أعطاه الله أسنى الأخلاق وأشرفها." انتهى. (انظر شرح الزرقاني على الموطأ ٦٠٤/٣)

(٢) الحياء أجمعت عليه رسالات الأنبياء:

عن أبي مسعود البدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إنَّ ممَّا أدرك النَّاس من كلام النُّبوَّة الأولى: إذا لم تستح فاصنع ما شئت) (رواه البخاري ٦١٢٠).

قال الخطَّابي: (معنى قوله: (النُّبوَّة الأولى): "أنَّ الحَيَاء لم يزل أمره ثابتًا، واستعماله واجبًا منذ زمان النُّبوَّة الأولى، وأنه ما من نبيٍّ إلَّا وقد نَدَب إلى الحيَاء وبُعث عليه، وَأنَّه لم ينسخ فيما نسخ من شرائعهم، ولم يُبَدَّل فيما بُدِّل منها" (معالم السنن ١٠٩/٤).

قال المناوي: (معناه: أن مما بقي فأدركُوهُ من كلام الأنبياء المتقدمين أن "الحياء" هو المانع من اقتراف القبائح والاشتغال بمنهيات الشرع ومستهجنات العقل وذلك أمر قد عُلمَ صَوابُه وظهر فضله واتفقت الشرائع والعقول على حسنه، وما هذه صفته لم يجر عليه النسخ والتبديل) (فيض القدير ١/ ص٤٣).

(٣) الحياء شعبة من الإيمان:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستُّون شعبة، أعلاها: قول: لا إله إلَّا الله. وأدناها: إماطة الأذى عن الطَّريق. والحياء شعبة من الإيمان) (رواه مسلم ٣٥).

قال الخطَّابي: (معنى قوله: (الحَيَاء شعبة من الإيمان) أنَّ الحَيَاء يقطع صاحبه عن المعاصي ويحجزه عنها، فصار بذلك من الإيمان) (معالم السنن ٣١٢/٤)

وقال السعدي: (هذا الحديث من جملة النُّصوص الدَّالة على أنَّ الإيمان اسمٌ يشمل عقائد القلب وأعماله، وأعمال الجوارح، وأقوال اللِّسان، فكلُّ ما يقرِّب إلى الله، وما يحبُّه ويرضاه من واجب ومستحبٌ فإنَّه داخلٌ في الإيمان. وذكر هنا أعلاه وأدناه، وما بين ذلك وهو: الحَيَاء. ولعلَّ ذكر الحَيَاء؛ لأنَّه السَّبب الأقوى للقيام بجميع شعب الإيمان. فإنَّ مَن استحيا من الله لتواتر نعمه، وسوابغ كرمه، وتجلِّيه عليه بأسمائه الحسنى، والعبد مع هذا كثير التَّقصير مع هذا الرَّبِّ الجليل الكبير، يظلم نفسه ويجني عليها أوجب له هذا الحَيَاء التوقِّي من الجرائم، والقيام بالواجبات والمستحبَّات) (بهجة قلوب الأبرار ص١٧٩).

(٤) الحياءُ منبع كل خير:

عن عمران بن حصين رضي الله عنهما قال: قال النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم: (الحَيَاءُ لا يأتي إلَّا بخير) (رواه البخاري ٦١١٧، ومسلم ٣٧).

قال ابن بطَّال: (معناه: أنَّ مَن استحيا من النَّاس أن يَرَوهُ يأتي الفجور ويرتكب المحارم، فذلك داعية له إلى أن يكون أشدَّ حياءً من ربِّه وخالقه، ومَن استحيا من ربِّه فإنَّ حياءَه زاجرٌ له عن تضييع فرائضه وركوب معاصيه؛ لأنَّ كلَّ ذي فطرة صحيحة، يعلم أنَّ الله تعالى النَّافع له والضَّار والرَّزاق والمحيي والمميت، فإذا عَلِم ذلك فينبغي له أن يستحيي منه عزَّ

وجلَّ) (شرح صحيح البخاري ٩/ ٢٩٧).

قال ابن رجب: (الحياء لا يأتي إلَّا بخير)؛ فإنَّه يكفُّ عن ارتكاب القبائح ودناءة الأخلاق، ويحثُّ على استعمال مكارم الأخلاق ومعاليها، فهو من خصال الإيمان بهذا الاعتبار) (جامع العلوم والحكم ١/ ٥٠١).

قال ابن حجر: (إذا صار الحَيَاء عادة، وتخلَّق به صاحبه، يكون سببًا يجلب الخير إليه، فيكون منه الخير بالذات والسَّبب) (فتح الباري ١٠/ ٥٢٢)

فالحيَاء فضيلة من فضائل الفطرة، وهو مادَّة الخير والفضيلة، وبهذا وصفه النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم بقوله: (الحَيَاء خيرٌ كلّه) (صحيح مسلم ٣٧).

قال ابن القيم رحمه الله: (خُلق "الحياء" من أفضل الأخلاق وأجلها وأعظمها قدرًا وأكثرها نفعًا بل هو خاصة الإنسانية، فَمَن لا حياء فيه فليس معه من الإنسانية إلا اللحم والدم وصورتهما الظاهرة كما أنه ليس معه من الخير شيء "(مفتاح دار السعادة ٢٢٧).

(٥) الحياء والايمان قرينان لا يفترقان:

عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "الحياء والايمان قُرِنَا جميعًا، فإذا رُفِعَ أحدهما رُفِعَ الآخر" (صحيح الجامع ٣١٩٥).

قال الطيبي: "فيه رائحة التجريد، حيث جرَّد من الإيمان شعبةً منه، وجعلها قرينةً له على سبيل الاستعارة، كأنهما رضيعا لبان ثدي، فتقاسما على ألا يفترقا"(فيض التقدير٣/ ٤٢٦).

(٦) حقيقة الحياء من الله:

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (استحيوا من الله حقَّ الحياء. قال: قلنا: يا رسول الله إنَّا لنستَحيي، والحمد لله. قال: ليس ذاك، ولكنَّ الاستحياء من الله حقَّ الحياء: أن تحفظ الرَّأس وما وعى، وتحفظ البطن وما حوى، وتتذكَّر الموت والبلَى، ومَن أراد الآخرة، ترك زينة الدُّنيا، فمَن فعل ذلك، فقد استحيا من الله حقَّ الحياء) (صحيح الترمذي ٢٤٥٨).

قال ابن رجب: (يدخل فيه حفظ السَّمع والبصر واللِّسان من المحرَّمات، وحفظ البطن وما حوى، يتضمَّن حفظ القلب عن الإصرار على ما حرَّم الله، ويتضمَّن أيضًا حفظ البطن من إدخال الحرام إليه من المآكل والمشارب، ومن أعظم ما يجب حفظه من نواهي الله عزَّ وجلَّ اللِّسان والفرج) (جامع العلوم والحكم ص٤٦٤).

وقال المباركفوري في شرح الحديث: (قوله: (استحيوا من الله حقَّ الحيَاء)). أي: حياءً ثابتًا ولازمًا صادقًا، قاله المناويُّ، وقيل: أي: اتَّقوا الله حقَّ تقاته.

(قلنا يا نبيَّ الله إنَّا لنستحيي). لم يقولوا: حقَّ الحيَاء؛ اعترافًا بالعجز عنه.

(والحمد لله). أي على توفيقنا به.

(قال: ليس ذاك). أي: ليس حقَّ الحيَاء ما تحسبونه، بل أن يحفظ جميع جوارحه عمَّا لا يرضى.

(ولكن الاستحياء من الله حقَّ الحيَاء: أن تحفظ الرَّأس). أي: عن استعماله في غير طاعة الله، بأن لا تسجد لغيره، ولا تصلي للرِّياء، ولا تخضع به لغير الله، ولا ترفعه تكبُّرًا.

(وما وعى). أي: جمعه الرَّأس من اللِّسان، والعين ، والأذن عمَّا لا يحل استعماله.

(وتحفظ البطن). أي: عن أكل الحرام.

(وما حوى). أي ما اتصل اجتماعه به من الفرج، والرِّجلين، واليدين، والقلب، فإنَّ هذه الأعضاء متَّصلة بالجوف، وحفظها بأن لا تستعملها في المعاصي، بل في مرضاة الله تعالى.

(وتتذكر الموت والبلِى). بكسر الباء، من بَلَى الشَّيء إذا صار خَلقًا متفتِّتًا، يعني تتذكَّر صيرورتك في القبر عظامًا بالية.

(ومَن أراد الآخرة ترك زينة الدُّنيا). فإنَّهما لا يجتمعان على وجه الكمال حتى للأقوياء، قاله القاري.

وقال المناويُّ: لأنَّهما ضرَّتان، فمتى أرضيت إحداهما أغضبت الأخرى) (تحفة الأحوذي ٧/ ١٣٠).

رابعا: الحياء صفة من صفات الله تعالى:

الحياء والاستحياء صفة خبرية ثابتة لله عز وجل بالكتاب والسنة، "والحيي" اسم من أسماء الله تعالى

أدلة القرآن الكريم:

١- قوله تعالى: «إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ مَثَلٗا مَّا بَعُوضَةٗ فَمَا فَوۡقَهَاۚ » (البقرة: ٢٦).

٢- قوله تعالى: «وَاللّٰه لا يَسْتَحْيِ مِنْ الْحَقِّ» (الأحزاب: ٥٣).

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: "من فوائد الآية: إثبات الحياء لله عز وجل.ووجه الدلالة: أن نفي الاستحياء عن الله في هذه الحال دليل على ثبوته فيما يقابلها؛ وقد جاء ذلك صريحًا في السنة (مجموع الفتاوى)

أدلة السُنَّة النبويَّة:

(١) حديث أبي واقد الليثي رضي الله عنه مرفوعًا: (... وأما الآخر فاستحيا؛ فاستحيا الله منه، وأما الآخر فأعرض؛ فأعرض الله عنه) رواه: البخاري (٦٦)، ومسلم (١٤٠٥).

(٢) حديث سلمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إنَّ ربَّكم "حييٌّ" كريمٌ، يستحي أن يبسطَ العبدُ يديْه إليه فيردَّهُما صفْرًا) (صحيح الجامع ٢٠٧٠).

(٣) حديث يَعْلَى بنِ أميةَ رضي الله عنه؛ أنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال: "إنَّ الله تعالى حييٌّ ستِّيرٌ، يُحبُّ الحياءَ والسَّترَ فإذا اغتسَلَ أحدُكُم فليستَتِرْ" (صحيح الجامع ١٧٥٦).

وقوله: «حَيِيٌّ» فيه تَسميتُه سُبحانَه بهذا الاسم، ووصفُه جَل وعلا بمُقتضاه، وهو ثابتٌ على وَجْه لا نَقْصَ فيه؛ بل على الوجه اللائق به سبحانَه من غيرِ تكييفٍ ولا تعطيلٍ، ولا تحريفٍ ولا تَمثيلٍ.

ومِمن أثبت صفةَ الاستحياء من السلف شيخُ الحرمين أبو الحسنِ محمدُ بنُ عبدِ الملك الكرجيُّ في كتابِه الذي سماه: (الفصول في الأصولِ عَنِ الأئمَة الفحولِ إلزامًا لذوي البدعِ والفضولِ)، وكان من أئمةِ الشافعية، ونقلَه عنه إقرارًا له شيخُ الإسلام ابنُ تيميةَ في ((مجموعِ الفتاوى ٩/٤٥٥).

وقال المباركفوري: "ووصفُه تَعالَى بالحياءِ يُحمَلُ عَلَى مَا يَليقُ له، كسائرِ صفاته، نُؤمنُ بها ولا نُكيفُها" (تحفة الأحوذي ٩/ ٥٤٤).

وقال ابن القيم رحمه الله: «وأما "حياء الرب" تبارك وتعالى من عبده فنوع آخر لا تدركه الأفهام، ولا تكيفه العقول، فإنه حياء كرم، وبرّ، وجود، وجلال، فإنه تبارك وتعالى: حيي، كريم، يستحيي من عبده إذا رفع إليه يديه أن يردهما صفرا، ويستحي أن يعذب ذا شيبة شابت في الإسلام» (مدارج السالكين ٢/ ٢٦١).

وقال الشيخ خليل هرَّاس رحمه الله: ((وحياؤه تعالى وصف يليق به، ليس كحياء المخلوقين، الذي هو تغير وانكسار يعتري الشخص عند خوف ما يُعاب أو يُذَم، بل هو ترك ما ليس يتناسب مع سعة رحمته، وكمال جوده، وكرمه، وعظيم عفوه، وحلمه؛ فالعبد يجاهره بالمعصية مع أنه أفقر شيء إليه وأضعفه لديه، ويستعين بنعمه على معصيته، ولكن الرب سبحانه مع كمال غناه وتمام قدرته عليه يستحي من هتك ستره وفضيحته، فيستره بما يهيؤه له من أسباب الستر، ثم بعد ذلك يعفو عنه ويغفر)) اهـ(شرح النونية ٢/ ٨٠).

خامسا: أسباب تحصيل الحياء:

قال الإمام الهروي في "منازل السائرين": "الحَيَاء: من أوَّل مدارج أهل الخصوص، يتولَّد من تعظيم منوط بودٍّ"، قال ابن القيم: يعني: "أنَّ الحيَاءَ حالةٌ حاصلة من امتزاج التَّعظيم بالمودَّة، فإذا اقترنا تولَّد بينهما الحيَاء. وقال بعضهم: "تولده من شعور القلب بما يُستَحيَى منه، ونفرته عنه، ويتولد من هذا الشعور والنفرة الحياء"، والجنيد يقول: "إنَّ تولُّده من مشاهدة النِّعم ورؤية التَّقصير"، قال ابن القيم: "ولا تنافي بين هذه الأقوال، فإنَّ للحياء عدَّة أسباب) (مدارج السالكين ٢/ ٢٧٤، ٢٧٥).

ويتولد الحياء كذلك "عن المعرفة بعظمة الله وجلاله وقدرته؛ لأنه إذا ثبت تعظيمُ الله في قلب العبد أورثه الحياء من الله، والهيبة له؛ فغلب على قلبه ذكرُ اطلاع الله العظيم ونظره بعظمته وجلاله إلى ما في قلبه وجَوارحه، وذكْرُ المقام غدًا بين يديه، وسؤاله إياه عن جميع أعمال قلبه وجوارحه، وذكرُ دوام إحسانه إليه، وقلة الشكر منه لربه، فإذا غلبَ ذكرُ هذه الأمور على قلبه؛ هاجَ منه الحياء من الله، فاستحى من الله أن يطَّلع على قلبه وهو معتقد لشيء مما يكره، أو على جارحة من جوارحه، يتحرك بما يكره، فطهّر قلبَه من كل معصية، ومنع جوارحه من جميع معاصيه" (تعظيم قدر الصلاة للمروزي ٢/ ٨٢٥)

اللهم اهدنا لأحسن الأخلاق؛ فإنه لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عنا سيئها لا يصرف عنا سيئها إلا أنت، اللهم بلغنا رمضان،

والحمد لله رب العالمين.

واحة

من فضائل الصحابة

فضل الخلفاء الراشدين

عن الشعبي، قال: أدركت خمسمائة صحابي، أو أكثر، يقولون: "أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي". (سير أعلام النبلاء). يعني أن ترتيبهم في الأفضلية كترتيبهم في الخلافة.

من نور كتاب الله

حسد أعداء الله للمسلمين

قال الله تعالى: « وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ » (البقرة: ١٠٩).

حِكم ومواعظ

قيل لمحمد بن واسع: من أزهد الناس في الدنيا؟ قال: من لا يبالي بيد من كانت الدنيا"

(العقد الفريد).

من دلائل النبوة

اتساع مُلك المسلمين وانتشار الإسلام

قال صلّى الله عليه وسلم: «إنَّ ربّي زوى لي الأرض، فرأيت مشارقها ومغاربها، وإنّ مُلك أمّتي سيبلغ ما زوى لي منها، وأُعطيت الكنزين الأحمر والأبيض». (وهما فارس والروم).

(صحيح مسلم).

مجمل اعتقاد السلف في الإيمان بالنزول

من معتقد أهل السنة أن الله عز وجل ينزل إلى السماء الدنيا، ويؤمنون بذلك من غير أن يحدُّوا فيه حدًا؛ للحديث "ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر، فيقول: من يدعوني فأستجيب له، ومن يسألني فأعطيه، ومن يستغفرني فأغفر له". (أصول السنة لأبي زمنين).

التوحيد

إعداد: علاء خضر

من هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم

إكرام الله لهذه الأمة

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: سمعت النَّبيَّ صلَّى الله عليه وسلَّم يقول: "لا تزال طائفة من أمَّتي يقاتلون على الحقِّ ظاهرين إلى يوم القيامة. قال: فينزل عيسى ابن مريم صلَّى الله عليه وسلَّم فيقول أميرهم: تعال صلِّ لنا. فيقول: لا. إنَّ بعضكم على بعض أمراء؛ تكرمة الله لهذه الأمَّة". (صحيح مسلم).

أحاديث باطلة

"حب الوطن من الإيمان". موضوع. قال الصنعاني: "ومعناه غير مستقيم؛ إذ إن حب الوطن كحبِّ النفس والمال ونحوه، كل ذلك غريزي في الإنسان لا يُمدَح بحبِّه ولا هو من لوازم الإيمان، ألا ترى أن الناس كلهم مشتركون في هذا الحب لا فرق في ذلك بين مؤمنهم وكافرهم؟!". (السلسلة الضعيفة للألباني).

من معاني الأحاديث

«مَن سأل وهو غَنيٌّ جاءت مسألته يوم القيامة خُدُوشًا في وجهه» خَدْشُ الْجِلْدِ: قَشْرُه بِعُودٍ أو نحوه. خَدَشَهُ يَخْدِشُهُ خَدْشًا، والْخُدُوشُ جَمْعُهُ؛ لأنه سُمِّيَ به الأثر وإن كان مصدرًا.

(النهاية لابن الأثير).

الفرق بين المُثقف والعالم

قال ابن قتيبة: "إذا أردت أن تكون عالمًا فاقصد لفنٍّ -نوع- من العلم، وإذا أردت أن تكون أديبًا فخذ من كل شيء أحسنه"

(عيون الأخبار).

من حكمة الشعر

قال حبيب الطائي:

وإذا أراد الله نشرَ فضيلةٍ   طُوِيتْ أتاح لها لِسانَ حَسودِ
لولا اشتعالُ النارِ فيما جاورتْ   ما كان يُعرَفُ طِيبُ عَرْفِ العُودِ

أثر السياق في فهم النص

(١١٢)

حجاب المرأة المسلمة

(٢٢)

إعداد / د. متولي البراجيلي

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.

وبعد: ما يزال الحديث متصلاً حول أدلة الحجاب من القرآن والسنة، وقد انتهيت بفضل الله تعالى من أدلة القرآن، ووصلت في أدلة السنة إلى الحديث السادس عشر: حديث فاطمة بنت قيس رضي الله عنها عندما طلقها زوجها ألبتة، وهو غائب (الطلقة الثالثة)، وفي الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم أمرها أن تعتد في بيت أم شريك، ثم قال: "تلك امرأة يغشاها أصحابي، اعتدي عند ابن أم مكتوم، فإنه رجل أعمى تضعين ثيابك عنده .... الحديث (صحيح مسلم وغيره).

(أم شريك امرأة غنية من الأنصار عظيمة النفقة في سبيل الله عز وجل، ينزل عليها الضيفان)، وفي رواية: "إن أم شريك كثيرة الضيفان؛ فإني أكره أن يسقط خمارك ....".

الاستدلال من الحديث:

يقول الشيخ الألباني: "ووجه دلالة الحديث على أن الوجه ليس بعورة ظاهر؛ وذلك لأن النبي صلى الله عليه وسلم أقر ابنة قيس على أن يراها الرجال، وعليها الخمار -وهو غطاء الرأس-؛ فدل هذا على أن الوجه منها ليس بالواجب ستره كما يجب ستر رأسها، ولكنه صلى الله عليه وسلم خشي عليها أن يسقط الخمار عنها فيظهر منها ما هو محرم بالنص، فأمرها النبي صلى الله عليه وسلم بما هو الأحوط لها، وهو الانتقال إلى ابن أم مكتوم الأعمى، فإنه لا يراها إذا وضعت خمارها (جلباب المرأة المسلمة صـ ٦٦).

قلت: استدل الشيخ الألباني من قول النبي صلى الله عليه وسلم لفاطمة رضي الله عنها: "فإني أكره أن يسقط خمارك" على أن الوجه ليس بعورة؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر الخمار، والخمار هو ما تغطي به المرأة رأسها، والاستدلال بذلك فيه نظر، فقد ذكر النبي صلى الله عليه وسلم لفاطمة في الحديث محظورين وهما سقوط الخمار وانكشاف

الثوب عن ساقيها، وأرى أن ذلك التحذير من النبي صلى الله عليه وسلم إنما هو على سبيل التنبيه فقط بذكر بعض ما لا يجوز للمرأة إظهاره، فحذر النبي صلى الله عليه وسلم من سقوط الخمار من على رأسها، وانكشاف الثوب عن ساقيها، وسكت عن سائر ما لا يجوز للمرأة إظهاره كساعديها مثلا، فالوجه في الحديث مسكوت عنه، فهل يعد هذا من قبيل مفهوم الموافقة فيأخذ حكم الخمار أم من قبيل مفهوم المخالفة، فلا يأخذ حكمه؟

فما هو المفهوم، وحتى أقرب المسألة أقول: إن للدليل منطوقًا ومفهومًا: فالمنطوق هو ما صرح به في النص، أما المفهوم فهو مسكوت عنه ودلّ عليه اللفظ، والمفهوم ينقسم إلى قسمين: مفهوم موافقة ومفهوم مخالفة، فمفهوم الموافقة هو أن يكون المسكوت عنه موافقًا في الحكم للمنطوق، وأما مفهوم المخالفة فهو ما يكون المسكوت عنه مخالفًا في الحكم للمنطوق، فبالنظر إلى حديث فاطمة بنت قيس رضي الله عنها: المنطوق: هو الخمار الذي يغطي الرأس والشعر، والمسكوت عنه: هو النقاب الذي يغطي الوجه، ومن المعلوم أن الخمار واجب على المرأة، فهل النقاب يأخذ حكمه وهو الوجوب بدلالة مفهوم الموافقة أم لا يأخذ حكمه فيبقى على الإباحة أو الاستحباب بدلالة مفهوم المخالفة؟

وهذا سيأخذنا مرة ثانية إلى أصل الخلاف بين أهل العلم، فمن قال بوجوب النقاب -المسكوت عنه في الحديث- اعتبره من مفهوم الموافقة يأخذ حكم الخمار، بل هو أولى، كما قال الشيخ التويجري (انظر الصارم المشهور ص١٤٤)، ومن قال بعدم وجوب النقاب اعتبره من مفهوم المخالفة، وهو ما كان المسكوت عنه مخالفًا لحكم المنطوق به، وهو الذي ذكر نحوه الشيخ الألباني؛ كما سبق ذكره. فالقول بأن ذكر الخمار في الحديث يعد دليلاً لوجوب النقاب أو استحبابه قولٌ ليس مُسلَّمًا به لأحد الفريقين، والله أعلم.

وقفات مع الحديث:

١- في قول النبي صلى الله عليه وسلم: "اعتدي عند ابن أم مكتوم، فإنه رجل أعمى تضعين ثيابك عنده"؛ يقول ابن عبد البر:.... دليل على أن المرأة غير واجب عليها أن تحتجب من الرجل الأعمى، وهذا يرد حديث نبهان مولى أم سلمة عن أم سلمة قالت: دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا وميمونة جالستان فاستأذن عليه ابن أم مكتوم الأعمى، فقال: "احتجبا منه، فقلنا يا رسول الله أليس بأعمى لا يبصرنا؟ قال: أفعمياوان أنتما لا تبصرانه". ففي هذا الحديث دليل على أنه واجب على المرأة أن تحتجب عن الأعمى، ويشهد له ظاهر قول الله عز وجل (وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن)(النور: ٣١). فمن ذهب إلى حديث نبهان هذا احتج بما ذكرنا من الآية، وقال: ليس في حديث فاطمة أنه أطلق لها النظر إليه، وقال: مكروه للمرأة أن تنظر إلى الرجل الأجنبي الذي ليس بزوج ولا ذي محرم .... ومن ذهب إلى حديث فاطمة هذا على ظاهره دفع حديث نبهان عن أم سلمة، وقال: نبهان مجهول ... (انظر التمهيد لابن عبد البر١٩/١٥٤-١٥٥).

قال ابن دقيق العيد: واختار بعض المتأخرين تحريم نظر المرأة إلى الأجنبي، مستدلاً بقوله تعالى: (وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن) (النور ٣١)، ثم قال ابن دقيق العيد: وفيه نظر؛ لأن لفظة من للتبعيض، ولا خلاف أنها إذا خافت الفتنة حرم عليها النظر، فإذن هذه حالة يجب فيها الغض فيمكن حمل الآية عليها ولا تدل الآية حينئذ على وجوب الغض مطلقًا (انظر إحكام الأحكام لابن دقيق العيد ٢/١٩٢).

قلت: حديث نبهان عن أم سلمة رضي الله عنها: "أفعمياوان أنتما". فيه نبهان: وهو مولى أم سلمة، لم يذكروا في الرواة عنه سوى الزهري ومحمد بن عبدالرحمن مولى آل طلحة، وقال الدار قطني في رواية محمد بن عبدالرحمن:

غير محفوظ، وقال ابن حزم في المحلى: لا يوثق، وقال ابن عبد البر: مقبول، أي: حيث يتابع وإلا فهو لين، وقد تفرد بهذا الحديث، وقال الإمام أحمد: نبهان روى حديثين عجيبين .... وحديث "أفعمياوان أنتما"، وقال الترمذي عن الحديث: حسن صحيح، وقد اختلف قول الحافظ في هذا الحديث . فقال في الفتح (١/٥٥٠) هو حديث مختلف في صحته، وقال في موضع آخر ٣٣٧/٩: إسناده قوي، وأكثر ما علل به انفراد الزهري بالرواية عن نبهان، وليس بعلة قادحة، فإن من يعرفه الزهري ويصفه بأنه مكاتب أم سلمة ولم يجرحه أحد، لا ترد روايته (انظر تحقيق مسند أحمد ٧٣/٤٤- ١٦٠/٤٤) (والحديث ضعفه الألباني في سنن الترمذي وغيره وكذلك ضعفه الأرناؤوط في مسند أحمد).

ومن قال بصحة الحديث قال بالجمع بينه وبين حديث فاطمة بنت قيس رضي الله عنها، قال الحافظ ابن حجر: "والجمع بين الحديثين احتمال تقدم الواقعة (حديث: أفعمياوان أنتما)، أو أن يكون في قصة الحديث الذي ذكره نبهان شيء يمنع النساء من رؤيته؛ لكون ابن أم مكتوم كان أعمى، فلعله كان منه شيء ينكشف ولا يشعر به. ويقوي الجواز (أي نظر النساء للرجال عند أمن الفتنة) استمرار العمل على جواز خروج النساء إلى المساجد والأسواق والأسفار منتقبات لئلا يراهن الرجال ولم يؤمر الرجال قط بالانتقاب لئلا يراهم النساء، فدل على تغاير الحكم بين الطائفتين (فتح الباري ٣٣٧/٩).

ومنهم من قال: إن حديث نبهان خاص بأمهات المؤمنين فقط؛ لأن الله تعالى أمر ألا نكلمهن إلا من وراء حجاب، وسواء دخل عليهن الأعمى والبصير. (انظر: تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة صـ ٣٢٨).

٢- هل في أمر النبي صلى الله عليه وسلم لفاطمة بالاعتداد في بيت أم مكتوم جواز المكث في بيت رجل أجنبي وإن كان ضريرًا؟ قلت: أجاب العلماء عن ذلك بأن ذلك من باب أخف الضررين؛ لأن فاطمة لما طلقها زوجها ثلاثًا لم يكن لها مأوى تأوي إليه، وأن ذلك ليس معناه جواز الخلوة بين رجل وامرأة.

وأنا أرى - والله أعلم - ان ابن أم مكتوم لم يكن يقيم بمفرده في بيته، فمن البديهي أن الأعمى لا يستطيع القيام بخدمة نفسه، وأنا لم أقف في ترجمته أنه كان متزوجًا، لكن أمه التي كان ينسب إليها وهي أم مكتوم: عاتكة بنت عبدالله بن عنكثة، من السابقين المهاجرين. (انظر سير أعلام النبلاء ١/٣٦٠).

ولم أقف على تاريخ وفاتها، فأغلب الظن أنه كان يقيم معها؛ لأنه لا يجوز إقامة رجل مع امرأة بمفردهما لأحاديث منها: حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لا يخلون رجل بامرأة إلا مع ذي محرم" (متفق عليه)، وحديث عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا يخلون رجل بامرأة إلا كان الشيطان ثالثهما" (مسند أحمد وغيره السلسلة الصحيحة ح٤٣٠).

وسيرد على ذلك سؤال، لماذا لم يذكر النبي صلى الله عليه وسلم في كلامه لفاطمة بنت قيس رضي الله عنها أم مكتوم كما ذكر أم شريك رضي الله عنهما، فقال اعتدي في بيت أم مكتوم؟

أرى - والله أعلم - أن النبي صلى الله عليه وسلم خص بالذكر ابن أم مكتوم ليبين لفاطمة رضي الله عنها السبب الذي جعله صلى الله عليه وسلم يأمرها بالعدة عنده، بعد أن كان أمرها بالعدة عند أم شريك؛ لأنه أعمى، وبالتالي لن تجد حرجًا لو تخففت من بعض ملابسها، فخص بالذكر العلة التي من أجلها غيَّر أمره لها، وأيضًا لشهرة ابن أم مكتوم؛ فالجميع يعرفه في المدينة الرجال والنساء؛ لأنه كان مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان يستخلفه على الصلاة في بعض غزواته صلى الله عليه وسلم.

والله أعلم.

وللحديث بقية، والحمد لله رب العالمين.

كيف يُعرَف الحقُّ في أزمنة الفتن المزمنة؟

الوسَطِيَّة والاعْتدِال

إعداد **د. عماد عيسى**
المفتش بوزارة الأوقاف

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، وصلى الله وسلم على الرحمة المهداة، والنعمة المسداة، ومن تَبِعَ هُداه، واقْتَفَى أَثَرَه وخُطَاه، وسَرَى مَسْرَاه وبعد.

فنواصل لقرائنا الكرام القول لعلهم يتذكرون، وذلك في حديثنا عن سبل النجاة من الفتن، فأقول:

ثالثًا: الأخذُ بالتوسُّط والاعتدال:

معنى التوسط:

التوسط: طريقة من طرائق معرفة الفتن ومن سُبُل النَّجَاة منها؛ إذْ إنّ التوسُّط والاعْتدَال ضَرْبٌ من ضُروبُ العَقْل، وَنَمَط من أَنْمَاط الرّزانة والفَهْم، وعلامةٌ على جَوْدَة العَقْل وحُسْن الاخْتِيار، ولا يزال أمر النّاس مُقاربًا ما لم يَخْرُجوا إلى المُجَاوزة، ولا يزال شأنُهم جاريًا على القَصْد والاسْتقَامة ما لم يدخلوا في الشَّطَط.

قالَ الشيخ أبو محمد بن بري رحمه الله تعالى: "واعلم أن الوسط قد يأتي صفة، وإن كان أصله أن يكون اسمًا من جهة أن أوْسَطَ الشيء أفضلُه وخيارُه كوسط المَرْعَى خيْرٌ من طرفَيْه، وكوسَط الدّابة للرُّكوب خيْرٌ من طرفَيْها لتَمَكُّن الرّاكب؛ ولهذا قال الرّاجز:

إذا ركبتُ فاجْعَلاني وَسَطا

ومنه الحديث: "خيارُ الأمُورِ أوْسَاطُها"؛ ومِنه قوله تعالى: «وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّه عَلَى حَرْفٍ»؛ أي على شك فهو على طرف من دينه غير متوسِّط فيه ولا مُتَمَكِّن، فلما كان وسَطُ الشيء أفضلَه وأعدلَه جاز أن يقع صفةً، وذلك في مثل قوله تعالى وتقدّس: «وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا»؛ أي عدلًا. اهـ (لسان العرب: ٧/٤٢٧ ٤٢٨).

أهمية التوسط والاعتدال:

عند الكلام عن هذه الصفة أعِرْني سمعَك، وارْعَني بصرَك؛ فإنّ فَقْدَها يُحدث التوجُّع، ويُحضر التفجُّع، وأرجو

من الله أن نعالجه بحاقِّ (أي: كامل) المُعالَجَة، وصادق الشَّفَقة، وخالص الضمير، مع حسن النيَة، وسلامة الطويّة، وهي صفةُ قُرةٌ للعيْن وشفاءٌ لِمَا في الصُدُور إذْ إنّ من اتَّخذها درْعَا للتّعامل مع النّاس كانتْ حاميةً له من أحْوَالِهم ومن لَبسها في أزمَانِ الفِتَن كانتْ واقيةً له من أهوالِها.

ومن تقلّدها اتّصف بكرائم الخِصال وكريم العَقَائل (وهي الشيء الكريم النفيس من الذوات والمعاني) وولّدها واستحق أن تُخلّد في صحائف القُلوب أقوالُه، وأن تُدوَّن في ضمائر النفوسِ أفعالُه، وتكتب على أحداق العيون أحوالُه.

وهذا حقيقٌ بهذه الصِّفة لأن التوَسُّط في الأُمُور أمرٌ علا في الأوصاف حتى جاوزَ ألْسِنَة الوُصَّاف، ومن تأمَّلَ أخلاقَ أهْل السِّيَادة وذَوي الإفَادَة والإجَادَة وَجَد أن التوسُّطَ رأسُها وعنوانُها.

وإنَّ المَرْءَ عند الحديث عن التوسُّط والإنصاف لينزعجُ ويقْلَقُ حتّى يأخذَه ما قرُب وما بعُد، وما قدُم وما حدُث، ولأهميّة هذا الأمر وقلّته في النّاس حثّ النبي صلى الله عليه وسلم علَى تَرْك الغُلو والتزيُّد، ونهى عن التَّقْصِير والتَّفْرِيط، وأَمَر بلزُوم القَصْد والمُقَارِبة.

الوصية النبوية بالتوسط والمقاربة:

عَنْ عَائشَةَ أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ قَالَ: " سَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَأَبْشِرُوا، فَإِنَّهُ لَنْ يُدْخِلَ الْجَنَّةَ أَحَدًا عَمَلُهُ" قَالُوا: وَلَا أَنْتَ؟ يَا رَسُولَ الله قَالَ: "وَلَا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِيَ الله مِنْهُ بِرَحْمَةٍ، وَاعْلَمُوا أَنَّ أَحَبَّ الْعَمَلِ إِلَى الله أَدْوَمُهُ وَإِنْ قَلَّ". رواه البخاري (٦٤٦٤) ومسلم (٢٨١٨).

فقوله: " سَدِّدُوا وقاربوا" أي: توسطوا. قال ابن الأثير: أي اقْتَصدوا في الأُمُور كلِّها، واتركوا الغُلُوَّ فيها والتَّقْصير، يقال: قاربَ فلانٌ في أموره إذا اقتصد" (النهاية:٤/٣٣).

وقال أيضًا: أي اطلبوا بأعمالكم السّداد والاستقَامة، وهو القَصْد في الأمْر والعَدْل فيه. (النهايَة:٢/٣٥٢).

وقال مطرف بن عبد الله لابنه لمّا اجتهد في العبادة: خير الأمور أوساطها، والحسنة بين السيئتين" أي الغلو سيئة والتقصير سيئة، والاقتصاد بينهما حسنة. (النهاية: ٢/٤٣٠).

وَعن الْحَكَم بْن حَزْن الْكُلَفيِّ، قَالَ: وَفَدْتُ إِلَى رَسُولِ الله صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ سَابِعَ سَبْعَةٍ- أَوْ تَاسِعَ تِسْعَةٍ- فَدَخَلْنَا عَلَيْه، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ الله، زُرْنَاكَ فَادْعُ الله لَنَا بِخَيْرٍ، فَأَمَرَ بِنَا، أَوْ أَمَرَ لَنَا بِشَيْءٍ مِنَ التَّمْرِ، وَالشَّأْنُ إِذْ ذَاكَ دُونٌ، فَأَقَمْنَا بِهَا أَيَّامًا شَهِدْنَا فِيهَا الْجُمُعَةَ مَعَ رَسُولِ الله صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ، فَقَامَ مُتَوَكِّئًا عَلَى عَصًا، أَوْ قَوْسٍ، فَحَمِدَ الله وَأَثْنَى عَلَيْه، كَلِمَاتٍ خَفِيفَاتٍ طَيِّبَاتٍ مُبَارَكَاتٍ، ثُمَّ قَالَ: "أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّكُمْ لَنْ تُطِيقُوا- أَوْ لَنْ تَفْعَلُوا- كُلَّ مَا أُمِرْتُمْ بِهِ، وَلَكِنْ سَدِّدُوا، وَأَبْشِرُوا". رواه أبو داود (١٠٩٦).

وكان العلماء قديمًا يقولون: من ترك سبيل المهاجرين والأنصار وقع في أسر الذل والعار، وهذا كلام حق، ومقال صدق لأن سبيل هؤلاء هو الوسط إذ القوم ساروا على منهاج النبوة الصافي وسلكوا الجَدَدَ فأمنوا الزلل العِثَارَ.

الأخذ بالوسط العدل هو المُخرج في أزمنة الفرقة وأوقات التعصب وأيام الميل والحَيف؛ لأن الناس تشعَبوا على طُرق وانقسموا على فِرَق؛ فمنهم من يأخذ بالشدة، ومنهم من يركب مَتْن التّفْريط، والحقّ بين هؤلاء وهؤلاء.

نزغ الشيطان عند الأمر إفراط أو تفريط:

الحقُّ دائمًا وَسَطٌ بين الغالي والجافي وبين الترخُّص والتشدُّد، وبين الضَّعْف والرَّخَاوة، والشِّدّة والصّلابَة، وكلا طرفيْ قصْد الأمور ذَميمُ، ورحم الله ابنَ القيم حين قال: "وما أمَرَ الله عزوجل بأمرٍ إلا وللشيطان فيه نزغتان: إما تقصيرٌ وتفريطٌ، وإما إفراطٌ وغلوٌّ، فلا يبالي بما ظفر من العبد من الخطيئتين، فإنه يأتي إلى قلب العبد فيشامُّه، فإن وجد فيه فُتوراً وتَوَانياً وتَرْخيصاً أخذَهُ من هذه الخُطّة فثبَّطه وأقْعَدَه وضربَهُ بالكَسَل والتَّوَاني والفُتُور، وفَتَحَ له بابَ التأويلات والرَّجاء وغيرِ ذلك، حتى ربَّمَا ترك العبدُ المأمورَ جملةً.

وإن وَجَد عندَهُ حَذَرًا وجِدًّا وتشميراً ونهضةً

وأيس أن يأخذه من هذا الباب أمره بالاجتهاد الزائد وسوَّل له أنَّ هذا لا يكفيكَ وهمتُك فوق هذا، وينبغي لك أن تزيد على العاملين، وأن لا ترقدَ إذا رقدُوا، ولا تُفطر إذا أفْطَروا، وأن لا تَفْتُر إذا فَتروا... ونحو ذلك من الإفراط والتعدي، فيحمله على الغلو والمجاوزة وتعدي الصراط المستقيم، كما يحمل الأول على التقصير دونه وأن لا يقربه، ومقصوده من الرجلين إخراجهما عن الصراط المستقيم: هذا بأن لا يقربه ولا يدنُو منه، وهذا بأن يجاوزه ويتعدّاه.

وقد فُتن بهذا أكثرُ الخلق، ولا يُنجي من ذلك إلا علمٌ راسخٌ وإيمانٌ وقوةٌ على محاربته ولزوم الوسط والله المستعان اهـ (الوابل الصيب: ص:١٤)

فمن أخذ بالوسط من تلك المَحَاسن والخَلائق وعَمِل على تَحْقيق هذه الحقَائق وفّقه الله وسدّد خُطاه وبلّغه من الخير مرادَه ومُناه.

حال الناس في الميل والمجاوزة:

وصدق ابن القيم رحمه الله تعالى فإن المْيل والتّجانُف صار خُلُقًا مَلَك قلوب الناس واستولى عليهم استيلاء الجَهَالة على المُغْتَلم، وعَشَّشتْ مفاسدُه في الصُّدُور، وتشرَّبَتْهُ النُّفوس، ومن الدّليل على ذلك أنّك ترى النّاس كأنّمَا قُضي عليهم أن لا يكونُوا على جادَّة الإنصَاف والعَدْلِ بل يتركُونه ويذهبُون إلى الوَهْم البَحْت، والتّخيُّل المَحْض، والجَوْر الصِّرْف، أمّا التوسُّط فتلفظُه أسْمَاعُهم، وتكرهُه نفوسُهم، وقد أصبحتْ هذه الأوصَاف في العامّة والخاصّة، فكيف تقوم قائمةٌ لقوم يصدُّون عن الحَقِّ ويعرضون عن البَرْهان والدّليل ويسلكُون غير سبيله؟!

نعم، لقد جَنَوْا على أنفُسهم ووَرَدُوا مَوْردًا عظيمًا، لأنّ طريقَ التعصُّبِ مَدْحضَةٌ مَزلّةٌ من تَوَرَّط فيها لم يَسْلَمْ، ولا عَجَبَ فَمَنْ ترَكَ الوَسَط والاعْتدَال أُخذَ بالخُدَع والاحْتيَال ووَقَع في الآصار والأغْلَال، أمّا المُتَوسِّط المُقْتَصد فتجِدُهُ مُوفّقًا مُعَانًا مُسَدّدًا فالْخَيْرُ ما يتَعَاطَاه والشَّرُّ ما يَتَخَطَّاه.

واعلم أن التعصُّبَ والمَيْل داءٌ قاتلٌ للتوسُّط والإنْصَاف بل ومُهْلكٌ للناس حتّى يقتلَ بعضُهم بعضًا ويعودَ إبرامُهُم نَقْضًا.

من فوائد الوسطية:

ومن الفوائد المُهمّات المُسْتَفَادة من التوسُّط: ظهورُ حقائق المُخَالفين واتضاحُ مذاهب العاطلين؛ لأن خلق التَوسط والإنصاف غُرّتان ودُرّتَان يُلهمَان العبدَ بتوفيق الله تعالى إدراكَ المعارف، ويُعينانه على التَّفْتيش عن الْحَقائق وسُهولَة الوُصُول إليها، أمّا الذي يتركُ التوسُّط فتراه حَائرًا مُضْطربًا لأنّه لا يقفُ على سَواءِ السَّبيل.

واعلم أن التوسُّط مطلوبٌ ومقصودٌ في كلّ شيء، ففي العبادة لا يغلو المرء في دينه حتى لا ينقطع فيصبح لا أرضًا قطع، ولا ظهرًا أبْقى، ولا يفرّط حتى يترك ويَذَر، وفي قراءة القرآن لا يغلُو فيه ولا يجفُو عنه، وفي صَدَاق المَرْأة لا يزيدُ زيادةً فاحشةً، ولا ينقص حتى تهون المرأة على نفسها وأهلها، وفي الأخلاق لا يكون عند شُموخُ الأنف كبرًا وعلوًّا، ولا يتصف بالضعة والذلة.

قال صلى الله عليه وسلم: "القصدَ القَصْدَ تبلُغُوا" قال ابن الأثير: "أي: عليكم بالقصد من الأمور في القول والفعل، وهو الوسط بين الطرفين" (النهاية: ٤/٦٧).

فمن أراد سلامة المَسير وحَاقَّ بُلُوغ المَصير فلْيلزمْ هذا الوصفَ ولْيتَعلّقْ بهذا الخُلُق فهو من جَميل أخْلاق نبيّنا صلى الله عليه وسلم، بل ومن كَمَال خليقته أيضًا فقد كان عليه الصلاة والسلام " أبيضَ مقصَّدًا" قال ابن الأثير: "هو الذي ليس بطويل ولا قصير ولا جسيم، كأن خلقه نُحيَ به القَصْد من الأُمور والمُعْتدل الذي لا يَميل إلى أحَد طرفي التفريط والإفراط". اهـ هَدانَا الله سبيلًا وسطًا لا تفريط فيه ولا شططًا.

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

من الأحداث الهامة في حياة الأمة

تحويل القبلة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على إمام المرسلين وخاتم النبيين، مَن بعثه ربُّه شاهدًا ومبشرًا ونذيرًا وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا.

أما بعد: فإنّ حادث تحويل القبلة من بيت المقدس في الشام إلى الكعبة المشرفة في بيت الله الحرام بمكة المكرمة كان من الأحداث الفارقة في حياة هذه الأمة التي اختارها لتكون شاهدة على الأمم، ويكون الرسول شاهدًا على الجميع، وهذا الحادث يدُلُّ على تميُّز هذه الأمة وخصوصيتها وريادتها وقيادتها للأمم.

وسنحاول بعون الله وتوفيقه توثيق هذا الحدث، والحديث عنه كالآتي:

أولاً: توثيق التاريخ الصحيح للحدث من خلال أقوال المؤرخين الثقات الذين اعتمدوا في توثيقهم للروايات الصحيحة على أقوال الصحابة والتابعين والذين استقوها بدورهم من الأحاديث الصحيحة التي رواها الإمامان الجليلان البخاري ومسلم وغيرهما.

ثانيًا: الحديث حول الآيات القرآنية التي واكبت الحدث قبله وأثناءه وبعده، والاستشهاد بأقوال أهل العلم الأثبات.

ثالثًا: نستخلص الدروس والعبر والفوائد النافعة التي ننتفع بها -إن شاء الله- في حاضرنا ومستقبلنا في عقيدتنا وأخلاقنا ومعاملاتنا. نستعرض الموضوع في النقاط التالية:

إعداد **عبد الرزاق السيد عيد**

١- تاريخ تحويل القبلة:

قال الدكتور أبو شهبة رحمه الله: «وقد كان التحويل من بيت المقدس إلى الكعبة في منتصف شهر رجب على الصحيح، وبه جزم جمهور العلماء». ثم قال رحمه الله: «وذهب البعضُ إلى أن التحويل كان في نصف شعبان وهو قول ضعيف». (السيرة النبوية ج٢، ط دار القلم).

قال ابن كثير رحمه الله : كان تحويل القبلة في سنة اثنتين من الهجرة قبل وقعة بدر، وقال بعضهم: كان ذلك في رجب من سنة اثنتين، وبه قال: قتادة، وزيد بن أسلم، وهو رواية عن محمد بن إسحاق.

وهو ظاهر حديث البخاري الذي رواه البراء بن عازب رضي الله عنه، ويقال: صُرِفت القبلة في شعبان على رأس ثمانية عشر شهرًا من مَقْدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة، وحكى هذا القول ابن جرير عن طريق السدي.

ثم نقل ابن كثير قولاً عن محمد بن سعد الواقدي أنها حُوِّلت يوم الثلاثاء النصف من شعبان، ثم عقب بقوله: «وفي هذا التحديد نظر، والله أعلم». اهـ مختصرًا من البداية والنهاية (٣/٢٥١)، طبعة الريان.

قال ابن إسحاق: ولما صُرِفت القبلة عن الشام إلى

الكعبة وصُرفت في رجب على رأس سبعة عشر شهرًا من مَقْدَم النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة. اهـ «سيرة ابن هشام» (١٩١/٢)، ط دار الصحابة بطنطا.

٢- بعض الأحاديث الصحيحة التي توثق تحويل القبلة وكيفيته، وشيء من فقه هذه الأحاديث:

عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رضي الله عنه: أَنَّ النبيَّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ أَوَّلَ مَا قَدِمَ الْمَدِينَةَ نَزَلَ عَلَى أَجْدَادِه- أو قال: وَأَخْوَالِه- مِنْ الْأَنْصَارِ وَأَنَّهُ صَلَّى قِبَلَ (اتجاه) بَيْتِ الْمَقْدِسِ سِتَّةَ عَشَرَ، أَوْ سَبْعَةَ عَشَرَ شَهْرًا، وَكَانَ يُعْجِبُهُ أَنْ تَكُونَ قِبْلَتُهُ قِبَلَ الْبَيْتِ (يعني المسجد الحرام)، وَأَنَّهُ صَلَّى أَوَّلَ صَلَاةٍ صَلَّاهَا صَلَاةَ الْعَصْرِ وَصَلَّى مَعَهُ قَوْمٌ فَخَرَجَ رَجُلٌ مِمَّنْ صَلَّى مَعَهُ فَمَرَّ عَلَى أَهْلِ مَسْجِدٍ وَهُمْ رَاكِعُونَ فَقَالَ: أَشْهَدُ بِالله لَقَدْ صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قِبَلَ مَكَّةَ، فَدَارُوا كَمَا هُمْ قِبَلَ الْبَيْتِ».(البخاري: ٤١) ومسلم.

وعَنْ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: بَيْنَمَا النَّاسُ فِي صَلَاةِ الصُّبْحِ بِقُبَاءٍ؛ إِذْ جَاءَهُمْ آتٍ فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ أُنْزِلَ عَلَيْهِ اللَّيْلَةَ (يعني قرآنًا)، وَقَدْ أُمِرَ أَنْ يَسْتَقْبِلَ الْكَعْبَةَ فَاسْتَقْبِلُوهَا، وَكَانَتْ وُجُوهُهُمْ إِلَى الشَّامِ فَاسْتَدَارُوا إِلَى الْكَعْبَةِ.) البخاري: ٤٠٣، ومسلم: ٥٢٦).

١- قد يتوهم البعض أن بين هذه الأحاديث تناقضًا أو اختلافًا؟!

الجواب: لا، ولكن الأحاديث تتكلم عن حادثتين منفصلتين في الزمان والمكان، فخبر وصل إلى أهل مسجد في صلاة العصر، وأهل مسجد آخر في صلاة الفجر، فالمسجد الذي وصله الخبر في صلاة العصر هو المسجد المسمى بمسجد القبلتين، وهو أقرب نسبيًّا إلى المسجد النبوي، والمسجد الذي وصله الخبر في صلاة الفجر هو مسجد قباء، وهو أبعد نسبيًّا عن المسجد النبوي، وكان ذلك الوقت يعتبر خارج المدينة النبوية.

٢- ومن فقه الأحاديث التي مرَّت بنا أن فيها حجة لمن اعتمد خبر الواحد، وعمل به في العقائد والأحكام؛ لأن الذي أبلغ خبر تحويل القبلة لأهل القبلتين، ولأهل مسجد قباء هو شخص واحد فاستجاب له الصحابة دون تردد سواء في مسجد القبلتين أو مسجد قباء.

٣- وأيضًا مما يستفاد من الأحاديث ومن الآيات التي نزلت في تحويل القبلة؛ أن توجُّه النبي صلى الله عليه وسلم إلى المسجد الأقصى في بيت المقدس لم يكن باجتهاد من النبي صلى الله عليه وسلم طمعًا منه في إسلام اليهود كلا، بل كان بأمر من الله، والدليل واضح، فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يقلب وجهه في السماء ويرجو ربه أن يولّيه تجاه الكعبة، وكذلك كان أصحابه رضي الله عنهم جميعًا.

ثالثًا: حديث القرآن الكريم عن تحويل القبلة:
قال الإمام ابن القيم رحمه الله تحت عنوان (تحويل القبلة) من قوله تعالى: (مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ) (البقرة١٠٦) إلى قوله تعالى: (وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ)(البقرة١٥٠):

"وتأمل حكمة الله الباهرة في توجيه القبلة أولاً إلى بيت المقدس حيث كانت قبلة الانبياء قبله صلوات الله عليهم جميعًا، فبعث الله رسوله النبي الأمي بما بعث به الانبياء قبله، وبما يعرفه أهل الكتاب فكان استقبال بيت المسجد مقررًا لنبوته، وأن دعوته هي دعوة الرسل بعينها، وليس بدعًا، ولا مخالفًا لهم، بل مصدقًا لهم مؤمنًا بهم، فلما استقرت أعلام نبوته في القلوب، وقامت شواهد صدقه من جهة، ولم يكن إنكار اليهود لرسالته صلى الله عليه وسلم إلا كبرًا وحسدًا وعنادًا وبغيًا، ولما كانت المصلحة له ولأمته أن يستقبلوا الكعبة البيت الحرام أفضل بقاع الأرض وأحبها إلى الله وأعظم البيوت وأشرفها وأقدمها؛ أمر الله النبي والمؤمنين معه بالتحول إليه، وقد تقدم هذا الأمرَ أمورٌ كالمقدمات إليه؛ لعظم شأنه فذكر الله النسخ أولاً؛ وأنه سبحانه إذا نسخ آية أو حكمًا أتى بخير منه أو مثله، وأنه سبحانه على كل شيء قدير، وأنه له ملك السماوات والأرض" انتهى بتصرف يسير من كتاب بدائع التفسير ج١ ص٣٦٠ ط دار الجوزي.

والذي ذهب إليه ابن القيم رحمه لم يذهب إليه وحده، بل شاركه فيه جمعٌ من أهل التفسير قبله وبعده، وقد روى الحاكم وصححه (٣١١٤) (عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "أول ما نسخ من القرآن فيما ذكر لنا شأن القبلة"، وقال ابن عبد البر في الاستذكار: "وقد أجمع العلماء على أن أول ما نُسِخَ من القرآن شأن القبلة)، وقال القرطبي رحمه الله: (وأجمع العلماء على أن تحويل القبلة أول نَسْخ في الإسلام). الجامع لأحكام القرآن. •

هذا وقد علم الله سبحانه ما سيكون في أمر تحويل القبلة من فتنة ومحنة للمسلمين وفتح باب لأعداء الإسلام ليدخلوا منه ويثيروا الهمز واللمز في أوساط المجتمع المسلم، فقال سبحانه: (سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا)، قال الشيخ السعدي رحمه الله في تفسيره: "قد اشتملت هذه الآية على معجزة وتسلية وتطمين قلوب المؤمنين واعتراض وجوابه"، وهو يقصد رحمه الله بالمعجزة أن الآية أخبرت عن أقوال السفهاء الذين اعترضوا على تحويل القبلة، وقالوا على الله بغير علم قبل أن يقولوه وقبل أن يقع التحويل، وهذا يُفهَم من صيغة الفعل المضارع المسبوقة بالسين الدالة على الاستقبال مع الفعل المضارع الدال أيضًا على الاستقبال، فيكون المقصود علم الله الشامل بما كان وسيكون، وهذه هي المعجزة التي يقصدها الشيخ رحمه الله، وفيها تحصين للمجتمع المسلم ضد الشائعات المتوقعة، وفيها جواب على الشبه المغرضة الضالة المضلة، ومن هنا جاء حديث القرآن قبل تحويل القبلة تمهيدًا لهذا الحدث العظيم بما يناسبه.

وسنحاول فيما يلي تلخيص ما اشتملت عليه الآيات التي نزلت حول هذا الموضوع وأحاطت به من كل جانب إتمامًا للفائدة وتجنبًا للإطالة:

١- ردت الآيات شبهات اليهود حول زعمهم عدم نسخ شريعتهم، وأن هدفهم من ذلك ليس الحق بل هو الكفر والعناد والكذب على الله وعلى الناس.

٢- وأنهم يودون رد المسلمين عن دينهم إن استطاعوا.

٣- والحقيقة التي لا جدال فيها أن الله اختار هذا الرسول النبي الأمي الذي هو مكتوب عندهم في التوراة والإنجيل، واختار أمته وجعلها أمة وسطًا عدولاً يشهدون للأمم، وعلى جميع الأمم من لدن نوح إلى قيام الساعة، وسيشهدون عليكم أيها اليهود أنكم انحرفتم عن ملة إبراهيم حنيفًا وما كان من المشركين، وانحرفتم عن منهج الأنبياء عمومًا، وكفرتم بعيسى الذى جاء مصدقًا لما معكم ومبشرًا بمحمد وبكتابه.

٤- وأهم ما يستفاد من ذلك أن العبرة ليست بالتوجه إلى المشرق أو المغرب، لكن المقصود هو طاعة الله ورسوله، ولذلك قال الله تعالى: (وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ) (البقرة: ١٤٣). فالتوجه المقصود إنما هو لأمر الله وطاعة لرسوله صلى الله عليه وسلم، ولذلك صار التوجه للكعبة بعد أن أمر الله به شرطًا من شروط صحة الصلاة.

٥- التوجه الى البيت الحرام هو بأمر الله والتوجه إلى المسجد الأقصى أيضًا بأمر الله والمسجد الحرام.

٦- في أمر الله للنبي صلى الله عليه وسلم التوجه إلى المسجد الأقصى أولاً حكمة أن يجمع الله لنبيه القبلتين والمسجدين، وهما لإبراهيم ومحمد صلى الله عليه وسلم وأمته هم ورثة إبراهيم عليه السلام في دينه وفي قبلتيه ومسجديه.

٧- وعلى هذا فليس لليهود حق شرعي، ولا حق تاريخي في بيت المقدس؛ لأنهم تخلوا عن دين إبراهيم، وانحرفوا عن دين جميع الأنبياء.

٨-على الأمة المسلمة اليوم أن تستشعر مسؤوليتها عن المسجد الأقصى الذي هذه مكانتهرزقني الله وإياكم الثبات على دينه حتى نلقاه،

والحمد لله رب العالمين.

مهارات واجبة للدعاة

المهارة الثانية

مهارة الاستماع

إعداد **د. ياسر لمعي عبد المنعم**

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستهديه، ونستلهمه سبحانه الرشد والصواب، ونعوذ به من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم.

تمثل مهارة الاستماع الوجه الآخر لمهارة الحديث، ومنهما معًا- يتحدد طرفًا عملية الاتصال الرئيسين-المرسل والمستقبل- أو- المتحدث والمستمع-.

ولقد علمنا النبيُ صلى الله عليه وسلم هذه المهارة الإسلامية ومارسها من خلال العديد من المواقف، فقد جاء فيما يرويه ابن هشام عن ابن إسحاق أن عتبة بن ربيعة، وكان سيدًا ذا بصيرةٍ ورأي في قومه.. قال في نادي قريش: يا معشر قريَش ألا أقوم إلى محمد فأكلمه وأعرض عليه أمورًا، لعله يقبل بعضها فنعطيه أيها شاء ويكف عنا، فقالوا: بلى يا أبا الوليد: قم إليه فكلمه، فجاء عتبة حتى جلس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا ابن أخي.. إنك منا حيث قد علمت من الشرف والعشيرة والمكانة في النسب، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم مزقت به جماعتهم، وسفهت به أحلامهم، فاسمع مني أعرض عليك أمورًا تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «قل يا أبا الوليد.. أسمع».

قال: يا ابن أخي: إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالًا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالًا، وإن كنت تريد به شرفًا سودناك علينا حتى لا نقطع أمرًا دونك، وإن كنت تريد ملكًا ملكناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك رئيًا تراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب، وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أفرغت يا أبا الوليد؟» قال: نعم، قال: «فاسمع مني»، ثم قال: « حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢﴾ كِتَٰبٌ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوۡمٍ يَعۡلَمُونَ ﴿٣﴾ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعۡرَضَ أَكۡثَرُهُمۡ فَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ » (فصلت: ١-٤)».

أرأيت إلى هذا الموقف وكيف يتضح من خلاله، قدرة الرسول صلى الله عليه وسلم على الإنصات الفعال؟!.

حيث أحسن النبي صلى الله عليه وسلم الاستماع الجيد لمن يحاوره «فلم يبادر بقطع حديثه» ولم يبدأ كلامه إلا حين تأكد من فراغ وانتهاء حديث من يحاوره.. حيث قال: «أفرغت يا أبا الوليد؟!» قال: نعم.

وقدم النبي صلى الله عليه وسلم بين حديثه ما يغري محاوره على أن يفتح قلبه وعقله للاستماع إليه فناداه بكنيته.. حتى يرقق قلبه.. ويقبل على الاستماع إليه.. كما لم ينشغل الرسول صلى الله عليه وسلم أثناء الاستماع بالاتهامات الموجهة لشخصه.. ولم يقاطع المتحدث أثناء هذه التهم بالرد عليها.

كما أن مرونة النبي صلى الله عليه وسلم في تركه أبا الوليد يكمل حديثه دون مقاطعة جعلت أبا الوليد يخجل من أن يقاطع النبي صلى الله عليه وسلم.

وهـذا الموقف يخطط للمديرين وأصحاب المسئوليات والإشـراف على الآخريـن منهجًا متكاملًا وبَنَّاءً في الإنصات الفعال.

ولنأخذ دروسًا مستفادة من هذا الحديث:

كن أذنًا مصغية:

فعليك أن تسمع أكـثر مما تتكلم ولا تقاطع محدثك، وامنحه الفرصة للتعبير عما بداخله ولو كان باطلًا، ويا ليتك تنظر في عينيه وكأنك توافق على كلامه، واحذر أن تنظر في ملابسه أو شعره لكي لا تشتت ذهن محدثك.

احترام الذات:

حاول عند استماعك للخصم أن تفرغ ما بدلوه لدلوك وأن توجه كل أعضائك تجاهه، كأنك تقول لـه: (أنـا أحترمك مهما تخالفني)، ثم تترك له حرية الاختيار؛ لأن المفروض مرفوض، والمطلوب مرغوب!

اصبر واحلم:

حينما تتقبل الآخرين كما هم وتصدق معهم، وتصبر عليهم، فإن ذلك يسمح لك بالتجوال في عقولهم، حيث يمكنك أن تتمتع وتفيد من أفكارهم.

أهمية الاستماع:

إن الاستماع ليس مهارة فحسب، بل هو سلوك أخلاقي يجب أن نتعلمه، إننا نستمع لغيرنا لا لأننا نريد مصلحة منهم، لكن لكي نبني علاقات وطيدة معهم.

إن عدم معرفتنا بأهمية مهارة الاستماع تؤدي لحـدوث الكثير من سوء الفهم، الـذي يـؤدي بدوره إلى تضييع الأوقات، والجهود، والأموال، والعلاقات..

المشاكل الزوجية، عـادة ما تنشأ من قصور في مهارة الاستماع خصوصًا عند الزوج.

خذ هذه:

في كتاب ستيفن كوفي «العـادات السبع لأكثر الناس إنتاجية»، تحدث الكاتب عن أب يجد أن علاقته بابنه ليست على ما يـرام، فقال لستيفن: لا أستطيع أن أفهم ابني، فهو لا يريد الاستماع إليَّ أبدًا.

فرد ستيفن: دعني أرتب ما قلته للتو، أنت لا تفهم ابنك لأنه لا يريد الاستماع إليك؟

فرد عليه: «هذا صحيح».

ستيفن: دعني أجرب مرة أخرى، أنت لا تفهم ابنك لأنه-هو- الذي لا يريد الاستماع إليك أنت؟

فرد عليه بصبر نافذ: هذا ما قلته!

ستيفن: أعتقد أنك كي تفهم شخصًا آخر فأنت بحاجة لأن تستمع له أولًا.

فقال الأب: أوه (تعبيرًا عن صدمته)، ثم جاءت فترة صمت طويلة، وقال مرة أخرى: أوه!

إن هـذا الأب نمـوذج لكثير من الناس، الذين يـرددون في أنفسهم أو أمـام الآخـريـن: إنني لا أفهمه، إنه لا يستمع لي! في حين أن المفروض أنك تبدأ بالاستماع للآخر أولًا، لا أن يستمع لك الآخر دومًا.

وإليك إشارات سريعة على طريقك:

استمع.. ثم استمع.. ثم استمع! نعم عليك أن تستمع وبإخلاص لمن يحدثك وإيـاك وزلاته التي تخرج من بين ثنايا كلماته، استمع وأنت ترغب في فهمه، استمع له حتى تقف على ما يريد.. استمع للآخر دون نية في خداعه ولا رغبة في التقاط عثراته.

لا تجهز الـرد في نفسك وأنـت تستمع لـه، ولا تستعجل بردك لمن يحدثك، فبمكنتك تأجيل الرد لمدة معينة حتى تجمع أفكارك وتصوغها بشكل جيد، فمن الخطأ التعجل في الرد لأنه يؤدي إلى سوء الفهم.

اتجه بجسمك كله لمن يتحدث لك فقد كان هذا من هديه صلى الله عليه وسلم كان إذا كلمه أحد التفت إليه بكليته، فإن لم يكن إقبالك على محـاورك بحواسك كلها فبوجهك على الأقـل، لأن المتحدث يتضايق ويحس بأنك تهمله إن لم تنظر إليه أو تتوجه صوبه.

بين للمتحدث أنك تستمع إليه جيدًا، واحذر أن تتظاهر بذلك وأنت غافل عنه؛ لأنك إن تظاهرت بأنك تستمع لمن يحدثك فسيكتشف ذلك لا ريب. بين له أنك تستمع لحديثه بأن تقول: نعم... صحيح، أو تهمهم، أو تومئ برأسك، المهم بَيِّنْ له بالحركات والكلمات أنك تستمع له، وهذا الإمام ابن عساكر يقول: (كان الرجل يحدثني بالحديث فأنصت إليه كأني لم أسمعه، ووالله لقد سمعته من قبل أن يولد!).

لا تقاطع أبدًا، ولو طال الحديث لساعات! وهذه نصيحة مجربة كثيرًا ولطالما حلت مشاكل بالاستماع فقط، لذلك لا تقاطع أبدًا واستمع حتى النهاية، وهذه النصيحة مهمة بين الأزواج وبين الوالدين وأبنائهم وبين الإخوان وبين كل الناس، ولا تنسَ قصة «سورة المجادلة»، لقد استمع النبي صلى الله عليه وسلم لهذه المرأة التي جادلته في أمر زوجها، وهذه المرأة هي نفسها التي سمع لها عمر فلما عوتب من أصحابه على استماعه لها وقتًا طويلاً قال: كيف لا أسمع لامرأة سمع لها الله ورسوله!

بعد أن ينتهي المتكلم من حديثه لخص كلامه بقولك: أنت تقصد كذا وكذا.... صحيح؟ فإن أجاب بنعم فيمكنك أن تتحدث، وإن أجاب بلا فاسأله أن يوضح أكثر، وهذا خير من أن تستعجل الرد فيحدث سوء تفاهم.

لا تفسِّر كلام المتحدث من وجهة نظرك أنت، بل حاول أن تتقمص شخصيته وأن تنظر إلى الأمور من منظوره هو لا منظورك أنت، وإن طبقت هذه النصيحة فستجد أنك سريع التفاهم مع الغير.

حاول أن تتوافق مع حالة المتحدث النفسية، فإن كان غاضبًا فلا تطلب منه أن يهدئ من روعه، بل كن جادًّا واستمع له بكل هدوء واظهر له التفاعل بوجهك وقسماته.

عندما يتكلم أحدنا عن مشكلة ما أو أحزان فإنه يعبر عن مشاعر؛ لذلك عليك أن تلخص كلامه وتبلوره في صورة مشاعر يحس بها هو. وإليك- قارئي العزيز- مثالاً من كتاب ستيفن كوفي «العادات السبع لأكثر الناس إنتاجية»:

الابن: أبي لقد اكتفيت! المدرسة لصغار العقول فقط.

الأب: يبدو أنك محبط يا بني.

الابن: أنا كذلك بكل تأكيد.

في هذا الحوار القصير لم يغضب الأب، ولم يؤنب ابنه متهمًا له بالكسل والتقصير، بل عكس الأب شعور الابن فقط، ومن يطالع الكتاب يجد تكملة للحوار بين الأب وابنه حيث يصل الابن إلى القناعة بأهمية الدراسة، بل اتخذ خطوات عملية لتحسين مستواه الدراسي.

وهذه بعض المقترحات العملية لترسيخ مهارة الاستماع:

حين تسنح لك الفرصة في مشاهدة أشخاص يتحدثون اصمت لبضع دقائق، وراقب فقط انفعالاتهم التي قد لا تظهرها الكلمات وحدها وتخيل نفسك مكانهم.

راقب نفسك كلما كنت في حوار مع أي شخص، واضبط نفسك إن حاولت أن تقوّم أو تفسر حديث الشخص بشكل خاطئ، واعتذر له واطلب منه أن يعيد الحوار مرة أخرى، علمًا بأن هذه الطريقة قد جُرِّبت من قبل، وكان لها مفعول عجيب على الطرف الآخر.

وهذه خلاصة النصائح السريعة اختصرتها لك لكي تكون مستمعًا جيدًا:

والتي منها: الانتباه للمتحدث- تلافي تأثير العوامل التي تؤثر على الانتباه مثل العوامل النفسية والطبيعية والفسيولوجية والبيئية- مراعاة اللغة اللفظية- الصمت- الانتباه لتأثير عامل السن- الاهتمام بالتعبيرات غير اللفظية- المتابعة- التجاوب- التوافق- تجنب السرعة في الاستنتاج أو التقويم- تجنب تصنيف المتحدث أو إصدار الأحكام القطعية عليه- تجنب محاولة إيجاد أخطاء في طريقة إلقاء المتحدث.

ملاحظة أخيرة: قد يكون الاستماع متعبًا حقًّا، لكنه بالتأكيد خير من حدوث خلافات وسوء تفاهم. فهذه نصيحتي لك في هذا المقام.

ولكن يمكنني القول: إن مهارة كمهارة الاستماع هي الابنة الكبرى لمهارة التفاوض، وهذا ما سنتعرف عليه في المقال القادم إن شاء الله.

هذا، وصلِّ اللهم وسلم على سيدنا محمد.

الانهيار الأخلاقي وزوال الأمم

إعداد **جمال عبد الرحمن**

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه. وبعد.

فإن الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان، وهو الأعلم بما خلق، وبما أودع فيه من فطرة وغريزة، وفجور وتقوى، وهو الأعلم سبحانه بأدواء هذه النفوس وآفاتها، وما تحبه وما تكرهه في كل أطوار حياتها، كذلك فهو الأعلم جل وعلا بما يصلحها وما يفسدها، لذا كان لزامًا لمن أراد أن يورد نفسه موارد السعادة دنيا وآخرة؛ أن يتحرى منهج الصانع سبحانه؛ القيوم القائم على كل نفس بما كسبت.

وباتباع منهج الله سبحانه وتعالى لمن أراد تأسيس الأسرة المسلمة والمجتمع المسلم فسيكون الأساس متينًا، والبناء متماسكًا مستقيمًا، والمجتمع قويًا راقيًا، يكفل للأسرة السعادة في الدنيا، والفلاح في الآخرة.

أسباب بقاء الأمم وزوالها:

يقول ابن خلدون المتوفى سنة ٨٠٨هـ رحمه الله تعالى:

فإذا نظرنا فيمَن حصل لهم من المُلك على كثير من الأمم؛ وجدناهم يتنافسون في الخير وخصاله؛ من الكرم، والعفو عن الزّلات، والاحتمال من غير القادر، والقِرَى للضيوف، وحمْل الكلّ (الضعيف) وكسب المُعْدَم، والصّبر على المكاره، والوفاء بالعهد، وبذل الأموال في صون الأعراض، وتعظيم الشّريعة، وإجلال العلماء الحاملين لها، والوقوف عند ما يحدّدونه لهم من فعل أو ترك، وحسن الظّنّ بهم، ورغبة الدّعاء منهم، والحياء من الأكابر والمشايخ، وتوقيرهم وإجلالهم، وإنصاف المستضعفين من أنفسهم، والانقياد للحقّ، والتّواضع للمسكين، واستماع شكوى المستغيثين، والتّديّن بالشّرائع والعبادات، والقيام عليها وعلى أسبابها، والتجافي عن الغدر والمكر والخديعة ونقض العهد، وأمثال ذلك؛ علمنا أنّ هذه أخلاق القيادة؛ قد حصلت لديهم واستحقّوا بها أن يكونوا ساسة لمن تحت أيديهم أو على العموم، وأنّه خيرٌ ساقه الله تعالى إليهم مناسب لسلطانهم، وليس ذلك سُدى فيهم، ولا وجد عبثًا منهم، وعلمنا بذلك أنّ الله تأذّن لهم بالملك وساقه إليهم.

وبالعكس من ذلك؛ إذا تأذّن الله تعالى بانقراض الملك من أمّة؛ حملهم على ارتكاب المذمومات، وانتحال الرّذائل وسلوك طرقها، فتضيع الفضائل منهم جملة، ولا تزال في انتقاص إلى أن يخرج الملك من أيديهم، ويتبدّل به سواهم، ليكون نعيًا عليهم في سلب ما كان الله قد أتاهم من الملك، وجعل في أيديهم من الخير. « وَإِذَآ أَرَدۡنَآ أَن نُّهۡلِكَ قَرۡيَةً أَمَرۡنَا مُتۡرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيۡهَا ٱلۡقَوۡلُ فَدَمَّرۡنَٰهَا تَدۡمِيرٗا » (الإسراء: ١٦). واستقرئ ذلك وتتبّعه في الأمم السّابقة تجد كثيرًا ممّا قلناه ورسمناه والله يخلق ما يشاء ويختار. (تاريخ ابن خلدون).

تربية الرب لعباده:

من أهم الأخلاق التي يجب أن يتخلق بها الإنسان؛ أخلاقه مع ربه؛ عبودية له وافتقارًا إليه، والتزامًا بشرعه، وتأدُّبًا مع دعوة رسله.

قال الماوردي (المتوفى سنة: ٤٥٠هـ) رحمه الله تعالى:

وإنما خص الله تعالى الإنسان بكثرة الحاجة وظهور العجز نعمة عليه ولطفًا به؛ ليكون ذل الحاجة ومهانة العجز يمنعانه من طغيان الغنى وبغي القدرة؛ لأن الطغيان مركوز في طبعه إذا استغنى، والبغي مُسْتَوْلٍ عليه إذا قدر. وقد أنبأ الله تعالى بذلك عنه فقال: « كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ » (العلق: ٦، ٧). (أدب الدنيا والدين/١٢٩).

وما دمنا فقراء إلى الله تعالى، فلا يستقيم أبدًا أن نستغني عنه، ولا عن صراطه المستقيم، ولا عن عطائه وطاعته، ولا عن نصره وهداه، ومواضع رضاه، ولا عن التخلق بمكارم الأخلاق التي بُعث بإتمامها سيد خلقه محمد صلى الله عليه وسلم.. فإذا غفلنا واستغنينا عن حاجتنا إليه حالًا أو مقالًا أذهبَنا وأبدلنا بخلق جديد، وهذه سنته، وما ذلك عليه بعزيز، وكان ذلك على الله يسيرًا.

قال تعالى: « يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ » (فاطر: ١٥- ١٧).

وفيما سبق يتضح أن بقاء الأمم متوقف على ظهور الأخلاق فيهم، ولذلك قيل:

إنما الأمم الأخلاق ما بقيت
فإن هُمُ ذهبت أخلاقهم ذهبوا

والمعنى: أنه تبقى الأمم ما بقيت الأخلاق، فإذا ذهبت الأخلاق ذهبت الأمم، وليس شرطًا أن يكون ذهاب الأمة هو فناؤها وزوالها بالكلية، وإنما من صور زوال الأمم زوال قوتها ووحدتها، وزوال هيبتها وهيمنتها، وزوال تقدمها وحضارتها، وزوال عافيتها وسلامتها، وذهاب أمنها واستقرارها.

من مظاهر غياب منظومة الأخلاق:

١- وهو الأهم: التقاعس عن حقوق الرب سبحانه وتعالى وظهور المخالفات الشرعية الكثيرة، فليس من الأدب مع الله تعالى إهمال شرعه.

٢- انتشار الكراهية والأنانية، وحب المال المفضي للاقتتال.

٣- ظهور الجرائم بشتى أنواعها وخاصة القتل، وعلى الأخص القتل الأسَري.

٤- تقطيع الأرحام وضعف الترابط والولاء بين الأقارب والأرحام.

٥- انتشار ظاهرة الطلاق وما يعقبها من عداء وبغضاء.

٦- انتشار الغيبة والنميمة والخوض في الأعراض واللعن والسباب والشتم.

٧- ضعف الورع وعدم اتقاء الشبهات والجرأة على المحرمات.

٨- مشاهدة أفلام الفحش، والفسق، والرقص، والتعري، والتبرج، والسفور، والفجور.

لماذا تأخرت منظومة الأخلاق؟

لسببين: الأول: عند العلماء والدعاة: يُرَى اهتمام كبير بكل فروع العلم، وتأخير الكلام عن الأخلاق، في حين أن الهدف المباشر من بعثة النبي صلى الله عليه وسلم بعد توحيد الله تعالى؛ كان تتميم مكارم الأخلاق، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: «إنما بُعثت لأتمم صالح الأخلاق». (أخرجه البخاري في الأدب المفرد ح٢٧٣، عن أبي هريرة رضي الله عنه).

السبب الثاني: خطأ المجتمع:

فضلًا عن إهمال تعلم الأخلاق وتلقينها؛ فقد صار الكلام عنها نظريًا فقط، ولم يتحول إلى فعل، وهذا الذي عبَّرت عنه أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها لما سئلت عن خلق النبي عليه السلام قالت: «كان خُلقه القرآن». يعني بلغ القرآن للناس كنصوص وكان قدوة في الالتزام بأحكامه وأوامره ونواهيه.

كيف نعيد مكارم الأخلاق؟

بدون التقليل من قيمة الفقه وأحكامه يجب ما يلي:

أولًا: يجب أن يتصدر الحديث عن الأخلاق المشهد الدعوي والتذكيري، مع بيان أن كل حكم فقهي، أو تصور عَقَدي من ورائه قيمة أخلاقية، فلا يصلح عرض الفقه والعقيدة مجردة عن المغزى الأخلاقي.

على سبيل المثال: الشاب الذي جاء يستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الزنا، فالحكم الفقهي أن الله حرم الزنا ونهى عن الاقتراب منه بقوله: « وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا » (الإسراء: ٣٢). لكن المصطفى عليه الصلاة والسلام أوصل الشاب إلى تحريمه واجتنابه من جانب أخلاقي. قال: يا رسول الله، ائذن لي بالزنا، فأقبل القوم عليه فزجروه وقالوا: مه، مه. فقال

عليه الصلاة والسلام: «ادنه، فدنا منه قريبًا». قال: فجلس قال: «أتحبه لأمك؟» قال: لا. والله جعلني الله فداءك. قال: «ولا الناس يحبونه لأمهاتهم». قال: «أفتحبه لابنتك؟» قال: لا. والله يا رسول الله جعلني الله فداءك قال: «ولا الناس يحبونه لبناتهم». قال: «أفتحبه لأختك؟» قال: لا. والله جعلني الله فداءك. قال: «ولا الناس يحبونه لأخواتهم». قال: «أفتحبه لعمتك؟» قال: لا. والله جعلني الله فداءك. قال: «ولا الناس يحبونه لعماتهم». قال: «أفتحبه لخالتك؟» قال: لا. والله جعلني الله فداءك. قال: «ولا الناس يحبونه لخالاتهم». قال: فوضع يده عليه، وقال: «اللهم اغفر ذنبه وطهر قلبه، وحصن فرجه». قال : فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء. (مسند أحمد: ٣٦/ ٥٤٥).

ولو لم يفهمها الشاب أخلاقيًّا ما فهمها فقهيًّا.

وكذلك من الأخلاق التي تظهر بمصاحبة حكم فقهي، نَهْيُ الرسول صلى الله عليه وسلم عن بيع الثمار قبل أن تُزْهي، وقد علل ذلك بقوله عليه الصلاة والسلام: «إذا منع الله الثمرة فبم تستحل مال أخيك؟».

ثانيًا: تفعيل نصوص الأخلاق إلى واقع عملي وسلوك تطبيقي؛ مثال ذلك:

الثلاثة أصحاب الغار الذين وقعت الصخرة على فم الغار الذي أووا إليه من المطر فأغلقته عليهم حتى صار الغار قبرًا لهم، تواصوا فيما بينهم أن يتوسلوا كل منهم إلى الله تعالى بعمل بطولي يمثل خلقًا عاليًا ونموذجًا راقيًا يصلح أن يكون وسيلة بين يدَيْ ربهم لتفريج همهم ورفع كربهم، وقد تم لهم ما أرادوا.

عن ابن عمر رضي الله عنهما، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «خرج ثلاثة نفر يمشون فأصابهم المطر، فدخلوا في غار في جبل، فانحطت عليهم صخرة، قال: فقال بعضهم لبعض: ادعوا الله بأفضل عمل عملتموه، فقال أحدهم: اللهم إني كان لي أبوان شيخان كبيران، فكنت أخرج فأرعى، ثم أجيء فأحلب فأجيء بالحلاب، فآتي به أبوي فيشربان، ثم أسقي الصبية وأهلي وامرأتي، فاحتبست ليلة، فجئت فإذا هما نائمان، قال: فكرهت أن أوقظهما، والصبية يتضاغون عند رجلي، فلم يزل ذلك دأبي ودأبهما، حتى طلع الفجر، اللهم إن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك، فافرج عنا فرجة نرى منها السماء، قال: ففرج عنهم، وقال الآخر: اللهم إن كنت تعلم أني كنت أحب امرأة من بنات عمي كأشد ما يحب الرجل النساء، فقالت: لا تنال ذلك منها حتى تعطيها مائة دينار، فسعيت فيها حتى جمعتها، فلما قعدت بين رجليها قالت: اتق الله ولا تفض الخاتم إلا بحقه، فقمت وتركتها، فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك، فافرج عنا فرجة، قال: ففرج عنهم الثلثين، وقال الآخر: اللهم إن كنت تعلم أني استأجرت أجيرًا بفرق من ذرة فأعطيته، وأبى ذاك أن يأخذ، فعمدت إلى ذلك الفرق فزرعته، حتى اشتريت منه بقرًا وراعيها، ثم جاء فقال: يا عبد الله أعطني حقي، فقلت: انطلق إلى تلك البقر وراعيها فإنها لك، فقال: أتستهزئ بي؟ قال: فقلت: ما أستهزئ بك ولكنها لك، اللهم إن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك، فافرج عنا فكشف عنهم». (صحيح البخاري ح ٢٢١٥).

مثال آخر:

قال ابن بطال رحمه الله تعالى: جاءت سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم في جميلة امرأة ثابت بن قيس حين قالت: يا رسول الله، إنى لا أعتب عليه فى خلق ولا دين، ولكن أكره الكفر فى الإسلام لا أطيقه بغضًا....عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: أول خلع فى الإسلام أخت عبد الله بن أبى، أتت النبى، عليه السلام، فقالت: يا رسول الله، لا تجتمع رأسى ورأسه أبدًا، إنى رفعت جانب الخباء، فرأيته أقبل فى عدة (أي عدد من رفقائه)، فإذا هو أشدهم سوادًا، وأقصرهم قامة، وأقبحهم وجهًا، فقال: (أتردين عليه حديقته؟)، قالت: نعم، وإن شاء زدته، ففرق بينهما. وهذا الحديث أصل فى الخلع، وعليه جمهور الفقهاء، قال مالك: ولم أزل أسمع ذلك من أهل العلم، وهو الأمر المجتمع عليه عندنا أن الرجل إذا لم يضر بالمرأة ولا أساء إليها ولم تؤت من قِبَله، وأحبت فراقه، فإنه يحل له أن يأخذ منها كل ما افتدت به، كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم في امرأة ثابت. [شرح صحيح البخاري لابن بطال: ٧/ ٤٢٠).

فانظروا إلى أخلاق أهل الإسلام، في زمن عز فيه الآن الأدب والصدق والاحترام.

وإلى لقاء إن شاء الله.

تحذير الداعية من القصص الواهية

الحلقة (٢٢٦)

قصة نوح عليه السلام مع ملك الموت

إعداد **علي حشيش**

نواصل في هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارئ الكريم حتى يقف على حقيقة هذه القصة التي اشتهرت على ألسنة القُصاص والوعاظ، والى القارئ الكريم التخريج والتحقيق:

أولاً: أسباب ذكر هذه القصة:

إن من أسباب البحث في هذه القصة «قصة نوح عليه السلام مع مَلك الموت» هو وجودها في بعض كُتب السنة ، وكُتب التفاسير، وكتب الأدب والأخلاق؛ فعلى سبيل المثال:

١- ذكر هذه القصة الإمام الحافظ أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري الأندلسي المتوفى ٤٦٣هـ في «بهجة المجالس وأنس المجالس» (ص٢٣٤).

٢- وذكر القصة الإمام عبد الرحمن بن علي بن الجوزي المتوفى ٥٩٧هـ في كتابه «المدهش» (ص٣١٣).

٣- وذكر القصة الإمام محمد بن علي الشوكاني المتوفى ١٢٥٠هـ في تفسيره المسمى «فتح القدير» (٤/ ٢٣٠).

٤- وذكر القصة القاضي محمد ثناء الله الهندي المتوفى ١٢٢٥هـ في «تفسيره» (١٩٥/٧).

٥- وذكر القصة نجم الدين الغزي محمد بن محمد العامري الدمشقي المتوفى ١٠٦١هـ في كتابه «حُسن التنبه لما ورد في التشبه» (٤٦/٥).

٦- وذكر القصة أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار بن أحمد السمعاني التيمي المتوفى ٤٨٩هـ في «تفسيره» (١٧١/٤) ط دار الوطن بالرياض المشهور بـ «تفسير السمعاني».

٧- وذكر القصة أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي المتوفى (٧١٠هـ) في «تفسيره» المسمى «مدارك التنزيل وحقائق التأويل» (٦٦٨/٢).

٨- وذكر القصة أبو العباس أحمد بن محمد

بن المهدي بن عجيبة الفاسي المتوفى ١٢٢٤هـ في تفسيره المسمى «البحر المديد في تفسير القرآن المجيد» (٢٩١/٤).

٩- وذكر القصة مجمع البحوث الإسلامية في «تفسيره» المسمى «التفسير الوسيط» (١٨٣٧/٧).

١٠- وذكر القصة محمد صديق خان المتوفى ١٣٠٧هـ في كتابه «فتح البيان في مقاصد القرآن» (١٧٤/١٠).

١١- وذكر القصة أبو محمد عبد العزيز بن محمد بن عبد الرحمن بن عبد المحسن السلمان المتوفى ١٤٢٢هـ في كتابه «مفتاح الأفكار للتأهب لدار القرار» (٨٥/١).

١٢- وذكر القصة أحمد بن ناصر الطيار في كتابه «حياة السلف بين القول والعمل» (ص٤١٧).

١٣- وذكر القصة محمد الأمين بن عبد الله الأرمي في «تفسيره» المسمى «حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن» (٣٥٨/٢١).

١٤- وذكر القصة الإمام شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي المتوفى ١٠٧٢هـ في تفسيره المسمى «روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني» (١٦٧/٦).

١٥- وذكر القصة الحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي المتوفى ٩١١هـ في كتابه «الدر المنثور في التفسير بالمأثور» (١٤٣/٥) وقال: «أخرج ابن أبي الدنيا في كتاب «ذم الدنيا» عن أنس بن مالك رضي الله عنه فذكر الخبر الذي جاءت به القصة.

١٦- وذكر هذه القصة أبو محمد مكي بن أبي طالب حموش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي المتوفى ٤٣٧هـ في كتابه «الهداية في بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره وأحكامه وجمل من فنون علومه» (٧٧٢٨/١٢).

وسنبين حقيقة هذا الخبر في التخريج والتحقيق.

ثانيًا: المتن:

قال الإمام أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي المتوفى ٦٧١هـ في «تفسيره» المسمى «الجامع لأحكام القرآن» (٢٩٦/٧) ط. دار الحديث القاهرة: «رُوِيَ من حديث أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لما بعث الله نوحًا إلى قومه وهو ابن خمسين ومائتين فلبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عامًا، وبقي بعد الطوفان خمسين ومائتي سنة، فلما أتاه ملك الموت قال: يا نوح يا أكبر الأنبياء، ويا طويل العمر، ويا مجاب الدعوة، كيف رأيت الدنيا؟

قال: مثل رجل بُنِي له بيتٌ له بابان فدخل من واحد وخرج من الآخر». اهـ.

ثالثًا: التخريج:

١- هذا المتن: ذكره الإمام القرطبي في «تفسيره» من حديث أنس مرفوعًا.

والحديث المرفوع بيَّن حده الإمام السيوطي في «تدريب الراوي» (١٨٣/١) النوع (٦) من علوم الحديث فقال: «المرفوع هو ما أضيف إلى النبي صلى الله عليه وسلم خاصة».

٢- ولَمَّا لم يخرجه الإمام القرطبي واكتفى بقوله: «رُوِيَ من حديث أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم» كان لا بد من تخريجه للوقوف على سنده حيث إن التخريج: «هو الدلالة على موضع الحديث في مصادره الأصلية التي أخرجته بسنده».

والمراد بمصادر الحديث الأصلية: «هي كتب السنة التي جمعها مؤلفوها عن طريق تلقيها عن شيوخهم بأسانيد إلى النبي صلى الله عليه وسلم».

٣- بعد هذا البيان فالخبر الذي جاءت به هذه القصة

أخرجه الإمام أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر المتوفى (٥٧١هـ) في «تاريخ دمشق» (٢٨١/٦٢) قال: «أنبأنا أبو الفرج غيث بن علي، أخبرنا أبوبكر أحمد بن علي الطيب، أخبرنا أبو منصور محمد بن علي بن إسحاق الكاتب، حدثنا أحمد بن بشر بن سعيد الحرمي، حدثنا أبو روق أحمد بن محمد بن بكر الهمزاني، حدثنا أبو حاتم السجستاني سهل بن محمد بن عثمان إملاءً قال: وعاش نوح النبي عليه السلام ألفًا وأربعمائة سنة وخمسين سنة، قال أبو حاتم: ذكر ذلك إسماعيل بن أبي زياد، عن أبان بن أبي عياش العبدي عن أنس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لما بعث الله نوحًا إلى قومه...» القصة.

رابعًا: التحقيق:

الخبر الذي جاءت به هذه القصة الواهية خبر موضوع، ولقد بيَّن الإمام النووي حدَّه في «التقريب» النوع (٢١- تدريب) فقال: الموضوع: «هو الكذب المختلق المصنوع وهو شر الضعيف وأقبحه، وتحرم روايته مع العلم بوضعه في أيِّ معنى كان، سواء الأحكام والقصص والترغيب وغيرها إلا مقرونًا ببيان وضعه».

وعلة هذا الخبر التي جعلته موضوعًا هو أبان بن أبي عياش العبدي:

١- قال الإمام الحافظ ابن حبان في «المجروحين» (٩٦/١): «أبان بن أبي عياش من أهل البصرة واسم أبيه فيروز مولى لعبد قيس يحدث عن أنس والحسن، ولعله روى عن أنس أكثر من ألف وخمسمائة حديث ما لكبير شيء منها أصل يرجع إليه.

٢- وأخرج ابن حبان بسنده عن حماد بن زيد قال: «جاءني أبان بن أبي عياش فقال: أحب أن تكلم شعبة يكفَّ عني فقال: فكلمته، فكفَّ عنه أيامًا، فأتاني في بعض الليل فقال: إنك سألتني أن أكفَّ عن أبان، وانه لا يحل الكفَّ عنه فإنه يكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم». اهـ.

٣- وأخرج بسنده عن الإمام يحيى بن معين قال: «أبان بن أبي عياش ليس بشيء». اهـ.

٤- وقال الإمام النسائي في «الضعفاء والمتروكين» (٢٠): «أبان بن أبي عياش: متروك الحديث وهو أبان بن فيروز أبو إسماعيل». اهـ.

قلتُ: وهذا المصطلح عند الإمام النسائي له معناه: حيث بينه الحافظ ابن حجر في «شرح النخبة» (ص٧٣): «كان مذهب النسائي ألا يترك حديث الرجل حتى يجتمع الجميع على تركه». اهـ.

٥- ونقل الإمام الذهبي أقوال هؤلاء الأئمة في «الميزان» (١٥/١/١) وأقرها. ثم نقل عن يزيد بن هارون أن شعبة قال: «داري وحماري في المساكين صدقة إن لم يكن أبان بن أبي عياش يكذب في الحديث». اهـ.

ونقل عن أبي إسحاق السعدي الجوزجاني قال: «أبان بن أبي عياش ساقط». اهـ.

ونقل عن الإمام أحمد قال: أبان بن أبي عياش: متروك الحديث، وكان وكيع إذا مر على حديثه يقول رجل ولا يسميه استضعافًا. اهـ.

قلتُ: نستنتج من أقوال أئمة الجرح والتعديل أن «أبان بن أبي عياش: متروك ساقط ليس بشيء كذاب». وبهذا يتبين أن الخبر الذي جاءت به القصة موضوع، والقصة واهية.

خامسًا: طريق آخر للقصة موقوف:

والموقوف: قال الإمام الحافظ ابن كثير في «اختصار علوم الحديث» النوع (٧): «الموقوف مطلقه يختص بالصحابي. ولا يستعمل فيمن دونه إلا مقيدًا». اهـ.

١- فالخبر الذي جاءت به

هذه القصة أخرجه الحافظ ابن أبي الدنيا في كتابه «العمر والشيب» (ح١٩) قال: «حدثنا محمد بن عاصم، حدثنا أبو هرمز عن أنس قال: قيل لنوح عليه السلام: يا أطول النبيين عمرًا ويا أفضلهم شكرًا، كيف وجدت الدنيا والعيش؟ قال: كرجل دخل بيتًا له بابان فأقام في البيت هنية ثم خرج». اهـ.

٢- وأخرجه ابن أبي الدنيا أيضًا في كتابه «الزهد» (ح٣٥٨) قال: حدثنا محمد بن عاصم، أخبرنا نافع أبو هرمز عن أنس قال: جاء ملك الموت إلى نوح عليه السلام فقال: يا أطول النبيين عمرًا كيف وجدت الدنيا ولذتها؟ قال: كرجل دخل بيتًا له بابان فقام في وسط البيت هُنيهة ثم خرج من الباب الآخر». اهـ.

٣- وأخرج أيضًا ابن أبي الدنيا في كتابه «ذم الدنيا» (ح٢٢٩) بمثل ما سبق سندًا ومتنًا.

سادسًا: تحقيق طريق حديث أنس الموقوف:

هذا الخبر الذي جاءت به القصة عن أنس موقوفًا باطل موضوع علته أبو هرمز.

١- قال الإمام الذهبي في الميزان (٩٠٠٠/٢٤٣/٤): «نافع بن هرمز أبو هرمز عن الحسن وعن أنس بن مالك بصري ضعفه أحمد وجماعة، وكذبه ابن معين، وقال أبو حاتم: متروك ذاهب الحديث، وقال النسائي: ليس بثقة». اهـ.

فائدة: كان لا بد من تحقيق هذا الطريق الموقوف؛ لأنه يتعلق بالمرفوع حكمًا وأطلق عليه العلماء «المرفوع حكمًا» أي: أنه من الموقوف لفظًا المرفوع حكمًا».

حيث قال الحافظ ابن حجر في «شرح النخبة» (ص٥٣): «المرفوع من القول حكمًا لا تصريحًا: أن يقول الصحابي الذي لم يأخذ عن الإسرائيليات ما لا مجال للاجتهاد فيه، ولا له تعلق ببيان لغة أو شرح غريب كالإخبار عن الأمور الماضية من بدء الخلق وأخبار الأنبياء...». اهـ.

وهذا الموقوف من أخبار الأنبياء بل من أخبار شيخ الأنبياء نوح عليه السلام، وقد بينا حاله من الكذب على نبي الله نوح عليه السلام.

سابعًا: طريق آخر مقطوع:

قال الحافظ ابن كثير في «اختصار علوم الحديث» النوع (٧): «المقطوع: هو الموقوف على التابعين قولاً وفعلاً وهو غير المنقطع». اهـ.

قلتُ: فالمقطوع ما أضيف إلى التابعي فما دونه وهو متعلق بالمتن، أما المنقطع فهو متعلق بالسند.

هذا الطريق أخرجه الحافظ ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢٨٠/٦٢) من حديث محمد ابن عبد الله الزاهد عن موسى بن إبراهيم المروزي عن صالح بن رستم المزني عن الحسن قال: «لما أتى ملك الموت نوحًا ليقبض روحه...» القصة.

قلتُ: والحسن وهو الحسن بن أبي الحسن البصري واسم أبيه يسار وهو من الطبقة الثالثة وهي الطبقة الوسطى من التابعين كذا في التقريب (١٦٥/١) فالخبر مقطوع، وهو أيضًا خبر تالف موضوع، وعلته موسى بن إبراهيم المروزي.

قال الحافظ الذهبي في «الميزان» (٨٨٤٢/١٩٩/٤): «موسى بن إبراهيم أبو عمران المروزي: كذَّبه يحيى بن معين، وقال الدارقطني وغيره: متروك، وقد أورد له أخبارًا وقال: من بلاياه».

بهذا التحقيق لقصة «نوح عليه السلام مع ملك الموت» يتبين أنها قصة موضوعة مختلقة مصنوعة سواء كانت مرفوعة، أو موقوفة، أو مقطوعة.

هذا ما وفقني الله إليه وهو وحده من وراء القصد.

الحلقة (٥٥)

قرائن اللغة والنقل والعقل على حمل صفات الله (الخبرية) و(الفعلية) على ظاهرها دون المجاز

اتفاق كلمة أهل السنة من المتكلمة وأئمة الاعتقاد على: إبطال تأويلات الأشاعرة لصفات (النزول والمجيء والإتيان) بحق الله تعالى.

إعداد **أ.د. محمد عبد العليم الدسوقي**

الأستاذ بجامعة الأزهر

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه. وبعد:

فعلى نحو ما اجتمعت كلمة الفقهاء وأصحاب الحديث على بطلان ما جنح إليه الأشاعرة من تأويل صفات: (النزول، والمجيء، والإتيان)، اجتمعت كذلك كلمة أهل الاعتقاد والمتكلمة من أئمة أهل السنة دون أهل البدع والضلال.

أ- أئمة الاعتقاد: ابن خزيمة، والآجري، والعكبري يبطلون تأويلات الأشاعرة:

ففي كتابه (التوحيد) ص١٥٣ وفي تحقيق صفة النزول لله وتحت عنوان: (باب ذكر أخبار ثابتة السند صحيحة القوام في نزول الرب إلى السماء الدنيا كل ليلة)، يقول الإمام الحافظ ابن خزيمة (ت٣١١): «نشهد شهادةَ مقرٍّ بلسانه مصدقٍ بقلبه مستيقنٍ: بما في هذه الأخبار من ذكر نزول الرب من غير أن نصف الكيفية، لأن نبينا المصطفى لم يصف لنا كيفية نزول خالقنا إلى سماء الدنيا وأعلمنا أنه ينزل، وأن الله لم يترك ولا نبيه بيان ما بالمسلمين الحاجة إليه من أمر دينهم، فنحن قائلون مصدقونٍ بما في هذه الأخبار من ذكر النزول، غير متكلفين القول بصفته أو بصفة الكيفية، إذ النبي لم يصف لنا كيفية النزول، وفي هذه الأخبار ما بان وثبت وصح: أن الله فوق سماء الدنيا الذي أخبرنا نبينا أنه ينزل إليه، إذ محال في لغة العرب أن يقول: نزل من أسفل إلى أعلى، ومفهوم في الخطاب أن النزول من أعلى إلى أسفل»، كذا بما يكشف عن فهم السلف لمعنى صفة النزول، وأنه ما دل عليه ظاهر اللغة من كونه من أعلى إلى أسفل على الوجه اللائق بجلاله، وبما يقتضي أنه تعالى فوق سماواته مستوٍ على عرشه، وأنهم إنما ينفون الكيفية عن كل ذلك.. ثم ذكر رحمه الله الأحاديث في هذا.

وفي كتابه (الشريعة) وتحت (باب: الإيمان والتصديق بأن الله ينزل إلى السماء الدنيا كل ليلة) ص٢٩٤، يقول الإمام المحدث القدوة إمام الحرم محمد بن الحسين الآجري (ت٣٦٠): «الإيمان بهذا واجب، ولا يسع المسلم العاقل أن يقول: كيف ينزل؟؛ ولا يَرُدُّ هذا إلا المعتزلة، وأما أهل الحق فيقولون: الإيمان به واجب بلا كيف؛ لأن الأخبار قد صحت عنه صلى الله

عليه وسلم: (أن الله ينزل إلى السماء الدنيا كل ليلة)، والذين نقلوا إلينا هذه الأخبار هم الذين نقلوا إلينا الأحكام من الحلال والحرام، وعلم الصلاة والزكاة والصيام والحج والجهاد، فكما قبل العلماء عنهم ذلك كذلك قبلوا منهم هذه السنن، وقالوا: (من ردها فهو ضال خبيث)، يحذرونه ويحذرون منه» اهـ.

ولعبيد الله العكبري المعروف بابن بطة (ت٣٨٤) قوله في الإبانة ٣/ ٢٣٩، رادًا على مؤولة صفة النزول لله تعالى: «يقول المعطل: (إن قلنا: ينزل فقد قلنا إنه يزول، والله لا يزول، ولو كان ينزل لزال لأن كل نازل زائل)، قلنا: (أو لستم تزعمون أنكم تنفون التشبيه عن رب العالمين؟، فقد صرتم بهذه المقالة إلى أقبح التشبيه وأشد الخلاف، لأنكم إن جحدتم الآثار وكذبتم بالحديث، رددتم على رسول الله قوله وكذبتم خبره، وإن قلتم: لا ينزل إلا بزوال، فقد شبهتموه بخلقه، وزعمتم أنه لا يقدر أن ينزل إلا بزواله على وصف المخلوق الذي إذا كان بمكان خلا منه مكان، لكن نصدق نبينا كما قال: ينزل ربنا، ولا نقول إنه يزول، بل ينزل كيف شاء، ولا نصف نزوله ولا نحده ولا نقول: إن نزوله زواله». اهـ.

وقد سبق أن ذكرنا للإمام عبد الله بن خلف المقري الأندلسي - فيما نقله عنه ابن القيم في اجتماع الجيوش ص٥٥ - استدلاله بحديث النزول على استوائه تعالى، ثم قوله في نفي الجسمية والتكييف عنهما: «قد قال الله: (وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا) (الفجر/ ٢٢)، وليس مجيئه حركة ولا زوالًا ولا ابتدالًا، لأن ذلك إنما يكون إذا كان الجائي جسمًا أو جوهرًا، فلما ثبت أنه ليس بجسم ولا جوهر ولا عرض، لم يجب أن يكون مجيئه حركة ولا نقلًا، ولو اعتبرت ذلك بقولهم: (جاءت فلانًا قيامته)، و(جاءه الموت)، و(جاءه المرض)، وشبه ذلك مما هو وجود نازل به لا مجيء، لبان لك» اهـ.

ب - وابن منده والصابوني والبيهقي يفعلون الشيء ذاته فيثبتون نزوله تعالى:

ومما ذكره الحافظ العلامة ابن منده (ت٣٩٥) في كتابه التوحيد ص٢٥٥، قوله تحت عنوان: (ذكر نزول الرب يوم القيامة لفصل القضاء): «كذلك نقول فيما تقدم من هذه الأخبار في الصفات في كتابنا هذا، نرويها عن الصحابة عن المصطفى، ونجهل من تكلم فيها إلا ببيان عن الرسول، أو خبر صحابي حضر التنزيل والبيان، ونتبرأ إلى الله مما يخالف القرآن وكلام الرسول صلى الله عليه سلم».

وفي سوقه إجماع أهل الحديث على حمل صفات (النزول، والمجيء، والإتيان) لله تعالى على ظاهرها وعلى الوجه اللائق به، وإبان رده على من تأولها أو كيفها، يقول شيخ الإسلام الإمام أبو عثمان إسماعيل الصابوني (ت٤٤٩) في كتابه: (عقيدة السلف وأصحاب الحديث) ص٣٤: «ويثبت أصحاب الحديث نزول الرب كل ليلة إلى السماء الدنيا، من غير تشبيه له بنزول المخلوقين ولا تمثيل ولا تكييف، بل يثبتون ما أثبته رسول الله وينتهون فيه إليه، ويمرون الخبر الصحيح الوارد بذكره على ظاهره ويكلون علمه إلى الله، وكذلك يثبتون ما أنزله الله في كتابه، من ذكر المجيء والإتيان المذكورين في قوله: (هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ) (البقرة/ ٢١٠)، وقوله: (وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا) (الفجر/ ٢٢)».

قال: وقد «قرأت في رسالة الشيخ أبي بكر الإسماعيلي إلى أهل جيلان أن الله سبحانه ينزل إلى سماء الدنيا على ما صح به الخبر عن الرسول، وقد قال الله: (هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ) (البقرة/ ٢١٠) وقال: (وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا) (الفجر/ ٢٢)، ونؤمن بذلك كله على ما جاء بلا كيف، فلو شاء سبحانه أن يبين لنا كيفية ذلك لفعل، فانتهينا إلى ما أحكمه، وكففنا عن الذي يتشابه إذ كنا قد أمرنا به في قوله تعالى: (هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا) (آل عمران/ ٧)».

إلى أن قال: «وقال بعض السلف: (ينزل نزولًا يليق بالربوبية بلا كيف، من غير أن يكون نزوله مثل نزول الخلق، بل بالتجلي والتملي، لأنه جل جلاله منزه أن تكون صفاته مثل صفات الخلق،

كما كان منزهًا أن تكون ذاته مثل ذوات الخلق، فمجيئه وإتيانه ونزوله على حسب ما يليق بصفاته، من غير تشبيه وكيف)».

وقال: «فلما صح خبر النزول عن الرسول أقر به أهل السنة، وقبلوا الخبر، وأثبتوا النزول على ما قاله صلى الله عليه وسلم، ولم يعتقدوا تشبيهًا له بنزول خلقه، وعلموا وتحققوا واعتقدوا أن صفات الله لا تشبه صفات الخلق، كما أن ذاته لا تشبه ذوات الخلق تعالى الله عما يقول المشبّهة والمعطلة علوا كبيرًا، ولعنهم لعنًا كثيرًا»، وقال:

«وقرأت لأبي عبد الله ابن أبي جعفر البخاري، وكان شيخ بُخارَى في عصره بلا مدافعة، قال أبو عبد الله: سمعت عبد الله بن عثمان وهو عبدان شيخ مرو يقول: سمعت محمد بن الحسن الشيباني يقول: قال حماد بن أبي حنيفة: قلنا لهؤلاء: أرأيتم قول الله: (وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا) (الفجر/ ٢٢)، قالوا: أما الملائكة فيجيئون صفًا صفًا، وأما الرب تعالى فإنا لا ندري ما عنى لذاك؟، ولا ندري كيفية مجيئه، فقلت لهم: إنا لم نكلفكم أن تعلموا كيف مجيئه، ولكنا نكلفكم أن تؤمنوا بمجيئه، أرأيت من أنكر أن الملك يجيء صفًا صفًا ما هو عندكم؟، قالوا: كافر مكذب، قلت: فكذلك إن أنكر أن الله لا يجيء فهو كافر مكذب» ا.هـ. يعني: لأنه مكذب وجاحد لما في القرآن.

وما نقله الصابوني عن جمهور أهل السنة لاسيما ما ذكره عن حماد بن أبي حنيفة: صريح في أن نزوله تعالى المذكور في الصحيح ومجيئه الوارد في الآية، هو: النزول الحقيقي والمجيء المعروف في اللغة الذي من أصل معناه: المجيء المضاف إلى الملائكة، مع التباين في الحقيقة والكيفية، إذ ليس كمثل نزوله تعالى نزول شيء، ولا مثل مجيئه مجيء شيء.

ومما ذكره الإمام البيهقي (ت٤٥٨) بحق صفة النزول لله تعالى: قوله في (الأسماء والصفات) ص١٥٣: «لا يجوز وصفه تعالى إلا بما دل عليه كتاب الله أو سنة رسول الله أو أجمع عليه سلف الأمة»، ثم ذكر من ذلك: «الوجه واليدين والعين، والاستواء على العرش والإتيان والمجيء والنزول، ونحو ذلك من صفات فعله»، وعقّب يقول: «فتثبتُ هذه الصفات لورود الخبر بها على وجه لا يوجب التشبيه، ونعتقد في صفات ذاته أنها لم تزل موجودة بذاته، ولا تزال موجودة به، ولا نقول فيها: (إنها هو ولا غيره، ولا هو هي ولا غيرها).. ونعتقد في صفات فعله أنها بائنة عنه سبحانه، ولا يحتاج في فعله إلى مباشرة (إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ) (يس/ ٨٢)» ا.هـ.

كما نص البيهقي في كتابه (الاعتقاد) ص٩٣ -بعد أن أجمل ما سبق أن ذكره في كتاب (الأسماء) من قول أصحاب الحديث في تلك الصفات المذكورة آنفًا- نص على أنه «يجب أن يُعلم أن استواء الله ليس باستواء اعتدال عن اعوجاج ولا استقرار في مكان، ولا مماسة لشيء من خلقه، ولكنه مستوٍ على عرشه كما أخبر، بلا كيف، بلا أينَ، بائن من جميع خلقه، وأن إتيانه تعالى ليس بإتيان من مكان إلى مكان، وأن مجيئه ليس بحركة، وأن نزوله ليس بنقلة، وأن نفسه ليس بجسم، وأن وجهه ليس بصورة، وأن يده ليست بجارحة، وأن عينه ليست بحدقة، وإنما هي أوصاف جاء به التوقيف فقلنا بها، ونفينا عنها التكييف، فقد قال تعالى: (لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ) (الشورى/ ١١)، وقال: (وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ) (الإخلاص/ ٤)»، فكان أن أثبت صفات الخبر والفعل لله بعد أن نفى عنها التأويل والتشبيه بالحوادث، وقد مثَّل هذا الذي أفصح عنه: مذهبه الذي وافق فيه مذهب سلف الأمة رحمهم الله تعالى.

جـ-والإمامان (الجويني)، و(أبو المعالي) يتراجعان عن تأويلات الأشاعرة، ويثبتان: نزوله تعالى، ومجيئه، وإتيانه:

وفي نصيحة الإمام الجويني (ت٤٣٨) التي سبق أن ذكرناها له غير ما مرة، والتي جاء فيها ما نصه: «ليس من الإنصاف أن يفهموا في الاستواء والنزول والوجه واليد صفات المخلوقين، فيحتاجون إلى التأويل

والتحريف.. فإن فهموا في هذه الصفات ذلك، فيلزمهم أن يفهموا في الصفات السبع صفات المخلوقين من الأعراض!!.. فما يُلزموننا به في تلك الصفات من التشبيه والجسمية، نُلزمهم في هذه الصفات في العَرَضية، وما ينزهون ربهم به في الصفات السبع وينفونه عنه من عوارض الجسم فيها، فكذلك نحن نعمل في تلك الصفات التي ينسبوننا فيها إلى التشبيه سواء بسواء.. ومن أنصف، عرف ما قلناه واعتقده وقبل نصيحتنا، ودان الله بإثبات جميع صفاته هذه وتلك، ونفَى عن جميعها التعطيل والتشبيه والتأويل والوقوف، وهذا مراد الله منا في ذلك، لأن هذه الصفات وتلك، جاءت في موضع واحد وهو الكتاب والسنة، فإذا أثبتنا تلك بلا تأويل، وحرفنا هذه وأوّلناها، كنا كمن آمن ببعض الكتاب وكفر ببعض، وفي هذا بلاغ وكفاية» ا.هـ من الرسالة المنيرية ١/ ١٨٣.

أقول: في نصيحه الجويني تلك -والتي تمخضت عن تجربةٍ مرّ بها كان إبّانها يقول بتأويل الصفات الخَبرية والفعلية- خير ردٍّ وأفصح جواب على ما جنح إليه الأشاعرة في تأويلاتهم الباطلة، بحيث لم يعد -لجلائها ونصاعتها- ثمة حجة لمحتج، لاسيما وقد أتْبع -رحمه الله- ذلك بقوله: «وإذا ظهر ذلك وبان، انجلت مسألة الصفات من النزول واليد والوجه وأمثالها.. وأنها تساق مساق مسألة (العلو)، فلا نفهم منها ما نفهم من صفات المخلوقين، بل يوصف الربِ تعالى بها كما يليق بجلاله وعظمته، فتنزُّله كما يليق بجلاله وبعظمته، ويداه كما تليق بجلاله وعظمته، ووجهه الكريم كما يليق بجلاله وعظمته»، وهكذا.

والشيء بالشيء يذكر، فلقد رجع ابنه أبو المعالي إمام الحرمين ت٤٧٨ هو الآخر، عن تأويلات الأشاعرة في صفات (النزول، والمجيء، والإتيان) وغيرها، وذلك بعد أن كان يتقلب ويتخبط في ظلمات وجهالات تأويلها على ما نص عليه في كتابه (الإرشاد) ص٦٩ بقوله: «ومما يُسأل عنه قوله تعالى: (وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا) (الفجر/ ٢٢)، وكذلك قوله: (هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٖ مِّنَ ٱلۡغَمَامِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ) (البقرة/ ٢١٠)، وليس المعنيُّ بالمجيء: الانتقال والزوال، بل المعنيُّ بقوله (وجاء ربك): أي جاء أمر ربك وقضاؤه الفصل وحكمه العدل.. كما لا وجه لحمل النزول على التحول وتفريغ مكان وشَغْل غيره، فإن ذلك من صفات الأجسام ونعوت الأجرام.. وإنما الوجه: حمل النزول وإن كان مضافا إلى الله، على نزول ملائكته المقربين.. ومما يتجه في تأويل الحديث: أن يُحمل (النزول) على إسباغ الله نعماءه على عباده»، إلى آخر هذا السيل من التحريف والتعطيل.

لقد رجع أبو المعالي عن ذلك كله، وجعل يسجل تراجعه في (الرسالة النظامية) ويقول فيما يقول: «ذهب أئمة السلف عن الانكفاف عن التأويل، وإجراء الظواهر على مواردها، والذي نرتضيه رأيًا وندين الله به عقدًا، اتباع سلف الأمة، فالأولى: الاتباع وترك الابتداع، والدليل القاطع السمعي في ذلك: أن إجماع الأمة حجة متبعة.. وقد درج صحب النبي على ترك التعرض لمعانيها -يعني: التي كان يقولِ به الجهمية والتي كان هو يقول بها قبل- ودرك ما فيها، وهم صفوة الإسلام والمستقلون بأعباء الشريعة، وكانوا لا يألون جهدًا في ضبط قواعد الملة والتواصي بحفظها، وتعليم الناس ما يحتاجونِ إليه منها، فلو كان تأويل هذه الظواهر مسُوغا ومحتومًا لأوشك أن يكون اهتمامهم بها فوق اهتمامهم بفروع الشريعة، وإذا انصرم عصرهم وعصر التابعين على الإضراب عن التأويل، كان ذلك قاطعًا، وأنه الوجه المتبع بحق»، ثم قال: «فلتُجرَ آية الاستواء والمجيء.. وما صح من أخبار الرسول عليه السلام كخبر النزول وغيره على ذلك، فهذا بيان ما يجب لله تعالى»..

فهل نجد في هذين العَالمِيْن العاملَين -وأمثالهما كثير- قدوة للأشاعرة، فيرجعوا إلى الحق كما رجعا؟..

سؤال ننتظر من يجيب عنه من الأشاعرة عمومًا وأشاعرة الأزهر خصوصًا..

وإلى لقاء آخر نستكمل الحديث..

والحمد لله رب العالمين.

علامات محبة الله تعالى للعبد

إعداد **عبده أحمد الأقرع**

الحمد لله وحده، وأصلي وأسلم على من لا نبي بعده؛ نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وبعدُ:

فقد تحدثنا بفضل الله تعالى في العدد الماضي عن علامات محبة العبد لربه، وحتى تكمل الفائدة بإذن الله تعالى أُذكِّر نفسي وإخواني ببعض علامات محبة الله للعبد؛ راجيًا ربي سبحانه وتعالى أن يجعلنا من أهلها، فنقول- وبالله تعالى التوفيق-:

إن لحبِّ الله لعباده علامات وهي كالبشرى العاجلة لهم لتطمئن بها قلوبهم، وتسعد بها نفوسهم، فيا سعادة من وُفِّق وكانتَ فيه هذه العلامات أو بعضها، ويا فرحة من أكرمهُ الله بحبه وأسعده بقربه؛ فقد قيل: «ليس الشأن أن تُحبَّ، ولكن الشأن أن تُحَبّ». أي ليس الأمر أن تظَن أنك تحب الله، ولكنَّ الشأن العظيم أن يُحبّك الله، وحسبك من حب الله تعالى لك النجاة من النار، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «والله؛ لا يُلقِي الله حبيبه في النار». (صحيح الجامع: ٧٠٩٥).

فمن هذه العلامات: محبة الناس لك:

يُلقي الله محبة حبيبه في قلوب عباده، كما قال الله تعالى لنبيه موسى عليه السلام: «وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي » (طه:٣٩).

وقال تعالى عن المؤمنين: «إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا » (مريم:٩٦)، «هذا من نعمه على عباده، الذين جمعوا بين الإيمان والعمل الصالح، أن يجعل لهم ودًّا أي: محبة و ودادًا في قلوب أوليائه، وأهل السماء والأرض، وإنما جعل الله لهم ودًّا لأنهم ودوه، فودَّدهم إلى أوليائه وأحبابه». (تيسير الكريم الرحمن ٥/ ١٤٠).

وفي الحديث يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنَّ الله إذَا أَحَبَّ عَبْدًا دَعَا جبْريلَ فَقَالَ: إنِّي أحبُّ فُلاَنَا فَأَحبَّه، قَالَ: فَيُحِبُّهُ جبْريلُ، ثُمَّ يُنَادي في السَّمَاءِ فَيَقُولُ: إنَّ اللَّه يُحبُّ فُلاَنًا فَأَحبُّوهُ، فيُحبُّه أَهْلُ السَّمَاء، قَالَ: ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ في الأَرْضِ، وَإذَا أَبْغَضَ عَبْدًا دَعَا جبْريلَ فَيَقُولُ: إنِّي أبْغضُ فُلاَنا فَأَبْغضْهُ، قَالَ: فَيُبْغضُهُ جبْريلُ ثُمَّ يُنَادي في أَهْل السَّمَاء إنَّ الله يُبْغضُ فُلاَنًا فَأَبْغضُوهُ، قَالَ: فَيُبْغضُونَهُ ثُمَّ تُوضَعُ لَهُ الْبَغْضَاءُ في الأَرْض». (متفق عليه).

فمحبة الناس لعبد ما، ولا سيما أهل الصلاح والتقوى أمارة على حب الله لهذا الإنسان المحب؛ لأنه لا يقدر على تأليف القلوب إلا الله وحده، ولذلك قال الله لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم: «هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ » (الأنفال:٦٢، ٦٣)، وتأمل أيها المسلم قول الله

تعالى: «لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا» (الأنفال:٦٣)، من ذهب وفضة وغيرهما، دل ذلك على عظيم الأمر وأنه لا يقدر عليه إلا الله وحده، كما أن ثناء الناس على إنسان بالخير عاجل بشرى المؤمن إنه من أهل الجنة- إن شاء الله تعالى.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أهل الجنة من ملأ الله تعالى، أذنيه من ثناء الناس خيرًا وهو يسمع، وأهل النار من ملأ الله تعالى، أذنيه من ثناء الناس شرًا وهو يسمع». (صحيح الجامع: ٢٥٢٧).

فاهتم أخي الحبيب بهذا الجانب، واسمع ماذا يقول الناس عنك، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أنتم شهداء الله في الأرض». (متفق عليه).

وقال صلى الله عليه وسلم: «ما من عبد إلا وله صيت في السماء، فإذا كان صيته في السماء حسنًا وُضِعَ في الأرض حسنًا، وإذا كان صيته في السماء سيئًا وضع في الأرض سيئًا». (صحيح الجامع: ٥٧٣٢).

ومنها: ما جاء في هذا الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ». (البخاري: ٦٥٠٢).

ذكر رب العَزة سبحانه في هذا الحديث الإلهي ست علامات تدل على محبته سبحانه لعبده:

الأولى: «كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ».

والمعنى: أني أسدده في سمعه، فلا يسمع إلا ما يرضي الله، فالذي يحبه الله يحفظ عليه سمعه، فلا يسمع إلا ما يحبه الله ويرضاه، قال الله تعالى في وصف عباد الرحمن: «وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِٱللَّغْوِ مَرُّوا۟ كِرَامًا» (الفرقان:٧٢)، فهم لا يحضرون مجالس الكذب، والغيبة، والنميمة، والخوض في آيات الله، والاستهزاء بها، ومجالس الغناء، واللهو، وغير ذلك مما حرم الله الاستماع إليه؛ لأن جليس القوم شريكهم وإن لم يشاركهم، قال الله تعالى: «وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ» (النساء:١٤٠)، وقال تعالى: «وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ» (الأنعام:٦٨)، فاعرض نفسك أخي على ما ذُكر وغيره مما حرم الله سماعه، فإن كنت تسمع شيئًا من ذلك فلو كان الله يحبك لحفظ عليك سمعك، كما قال الحسن البصري رحمه الله: «هانوا عليه فعصوه، ولو عزوا عليه لعصمهم، وإذا هان العبد على الله لم يكرمه أحدٌ». كما قال الله تعالى: «وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ» (الحج:١٨).

الثانية: «وبصره الذي يُبصر به».

والمعنى: أسدده في بصره، فلا يبصر إلا ما يحب الله، والبصر نعمة من أجلّ وأعظم نعم الله علينا، ومن عظيم قدرها أن أبدل الله عز وجل مَن سُلبَ منه بصره فصبَر الجنة، عن أَنَس بْنِ مَالك رَضِيَ الله عَنْهُ قَالَ سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ يَقُولُ: "إنَّ الله قَالَ: إذَا ابْتَلَيْتُ عَبْدِي بِحَبِيبَتَيْه فَصَبَرَ عَوَّضْتُهُ منْهُمَا الْجَنَّةَ». (البخاري: ١٦٣، ١٦٤)، يريد عينيه.

وقال صلى الله عليه وسلم: «يقول الله: إذا أخذتُ كريمتي عبدي فصبرَ واحتسب، لم أرضَ له ثوابًا دون الجنة». (صحيح الترغيب: ٣٤٥٢).

فنعمة البصر من أعظم النعم ونعم الله لا تستخدم إلا في طاعته سبحانه، أما إذا كانت خلاف ذلك، فإنها تكون سببًا للحسرة في الدنيا، والندامة في الآخرة، ولذلك جاء الأمر الإلهي للمؤمنين كافة بغض البصر وحفظه، قال تعالى: «قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ» (النور:٣٠).

وهذا أمرٌ من الله تعالى لعباده المؤمنين أن يغضّوا من أبصارهم عما حرَّم عليهم، فلا ينظروا إلا إلى ما أباح لهم النظر إليه، فإن العين مرآة القلب، فإذا غض العبد بصره غض القلب شهوته وإرادته، وإذا أطلق بصره أطلق القلب شهوته، وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بغض البصر وضمن الجنة لمن غض بصره، فقال صلى الله عليه وسلم: «اضمنوا لي ستًا من أنفسكم أضمن لكم الجنة». وذكر منها: «واحفظوا فروجكم

وغضوا أبصاركم». (صحيح الجامع: ١٠١٨).

وقد عدَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم النظر نوعًا من الزنا، فقال صلى الله عليه وسلم: «كُتب على ابن آدم نصيبه من الزنى مدركٌ ذلك لا محالة، فالعينان زناهما النظرُ». (متفق عليه).

وكان الصالحون من عباد الله يتواصون بغض البصر، قال وكيع بن الجراح رحمه الله: «خرجنا مع سفيان الثوري في يوم عيد، فقال: "إن أول ما نبدأ به في يومنا غض أبصارنا". وقد قيل: "من حفظ بصره أورثه الله نورًا في بصيرته".

ومما يعينك أخي على غض بصرك تذكر قول الله تعالى: « يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ » (غافر:١٩)، فاعلم أنَّ الله يراك، واحذر أن تكون ممن قال الله فيهم: « يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا » (النساء:١٠٨)؛ فغض طرفك أخي عن كل حرام، وغض طرفك عن كل مفضول، قال الله تعالى: « وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ » (طه:١٣١)، أي: ولا تمد عينيك معجبًا، ولا تكرر النظر مستحسنًا إلى أحوال الدنيا والمتمتعين بها، من المآكل والمشارب اللذيذة، والملابس الناضرة، والبيوت المزخرفة، والنساء المجملة، فإن ذلك كله زهرة الحياة الدنيا، تبتهج بها نفوس المغترين، وتأخذ إعجابًا بأبصار المعرضين، ويتمتع بها القوم الظالمون، ثم تذهب سريعًا، وتمضي جميعًا، وتقتل محبيها وعشاقها، فيندمون حيث لا تنفع الندامة، ويعلمون ما هم عليه إذا قدموا في القيامة، وانما جعلها الله فتنة واختبارًا، ليعلم من يقف عندها ويغتر بها، ومن هو أحسن عملاً كما قال تعالى: « إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا (٧) وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا » (الكهف: ٧، ٨)، «وَرِزْقُ رَبِّكَ» العاجل من العلم والإيمان وحقائق الأعمال الصالحة والآجل من النعيم المقيم والعيش السليم في جوار الرب الرحيم «خير» مما متعنا به أزواجًا في ذاته وصفاته «وَأَبْقَى» لكونه لا ينقطع، أكلها دائم وظلها كما قال تعالى: «بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا (١٦) وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ » (الأعلى: ١٦، ١٧)، وفي هذه الآية إشارة إلى أن العبد إذا رأى من نفسه طموحًا إلى زينة الدنيا، وإقبالًا عليها أن يذكر ما أمامها من رزق ربه، وأن يوازن بين هذا وهذا. (تيسير الكريم الرحمن: ٥/٢٠٢).

الثالثة: «ويده التي يبطش بها»:

أي: لا تمتد يده إلا إلى ما يحبه الله ويرضاه، ويكفها عما حرم الله، وقد ضمن رسول الله صلى الله عليه وسلم الجنة لمن كفَّ يده عن الحرام، فقال صلى الله عليه وسلم: «اضمنوا لي ستًا من أنفسكم أضمن لكم الجنة». وذكر: «وكفُّوا أيديكم». (صحيح الجامع: ١٠١٨).

فمن علامات حب الله للعبد: أن يحفظ عليه يده عن كل حرام فلا يسفك دمًا حرامًا، ولا يزهق نفسًا بريئة، ولا يضرب بيده من لا يستحق الضرب تأسيًا بالنبي صلى الله عليه وسلم، قالت أمنا عائشة رضي الله عنها: «ما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئًا قط بيده، ولا امرأة ولا خادمًا إلا أن يجاهد في سبيل الله، وما نِيلَ منه شيءٌ قط فينتقم من صاحبه إلا أن ينتهك شيء من محارم الله تعالى فينتقم لله تعالى». (مسلم: ٢٣٠٩).

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُنكر على مَن ضرب إنسانًا، عن أبي مسعود البدري رضي الله عنه قال: «كُنت أضرب غلامًا لي بالسوط، فسمعت صوتًا من خلفي: اعلم أبا مسعود. فلم أفهم الصوت من الغضب، فلما دنا مني إذا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإذا هو يقول: اعلم أبا مسعود أن الله أقدرُ عليك منك على هذا الغلام. فقلت: لا أضرب مملوكًا بعده أبدًا». (مسلم: ١٦٥٩).

وعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: جاء رجل فقعد بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله! إن لي مملوكين يكذبونني، ويخونونني ويعصونني، وأشتمهم وأضربهم، فكيف أنا منهم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا كان يوم القيامة يحسب ما خانوك وعصوك وكذبوك، وعقابك إياهم، فإن كان عقابك إياهم بقدر ذنوبهم كان كفافًا لا لك ولا عليك، وإن كان عقابك إياهم دون ذنبهم كان فضلاً لك، وإن كان عقابك إياهم فوق ذنوبهم،

اقتُصَّ لهم منك الفضل. فتنحى الرجل، وجعل يهتف ويبكي، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: أما تقرأ قول الله تعالى: «ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئًا وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين». فقال الرجل: يا رسول الله! ما أجد لي ولهؤلاء شيئًا خيرًا من مفارقتهم، أشهدك أنهم أحرار كلهم. (صحيح الترغيب: ٢٢٩٠)، فأعتق العبيد الذين عنده، حتى لا يُسأل عنهم يوم القيامة.

ويحفظ يده فلا تمسّ جسم امرأة أجنبية قط، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لأن يطعن في رأس أحدكم بمخيط من حديد خيرٌ من له أن يمس امرأةً لا تحل له». (الصحيحة: ٢٢٦).

«المخيط»: هو ما يُخَاطُ به كالإبرة والمسلة ونحوهما، فالمعصوم من عصمه الله، ومما يعينك أخي على حفظ يدك من كل شر أن تتذكر قول الله تعالى: « ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ » (يس:٦٥)، وقوله تعالى: « إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ » (النبأ:٤٠)، وقول النبي صلى الله عليه وسلم: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده». (متفق عليه). فإن أحبك الله حفظ عليك يديك.

الرابعة: «ورجله التي يمشي بها»:

فلا يمشي إلى ما حرم الله من الأعمال والأماكن، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «والرِّجلُ زناها الخطا». متفق عليه، فإذا أردت أخي أن تمشي سل نفسك أولاً إلى أين تذهب؟ وتذكر شهادة الأرض يوم القيامة، قال الله تعالى: «يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا» (الزلزلة:٤)، وقد فطن لذلك الصحابي الأنصاري رضي الله عنه وكان لا يُعلم أنَّ أحدًا أبعد من المسجد منه، وكانت لا تخطئه صلاةٌ، فقيل له: لو اشتريت حمارًا تركبه في الظلماء، وفي الرمضاء، فقال: ما يسرني أن منزلي إلى جنب المسجد، إني أريد أن يكتب لي ممشاي إلى المسجد، ورجوعي إذا رجعتُ إلى أهلي، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «قد جمع الله لك ذلك كله». متفق عليه، فمن أحب الله فلا يمشي إلا لما يرضي الله عز وجل، فيكون مسددًا في أقواله وفي أفعاله.

الخامسة: «وإن سألني لأعطينه»:

فأي كرم أعظم من هذا الكرم؟ العبد المحبوب عند الله تعالى له منزلةٌ عظيمة عنده، إذا سأله الله شيئًا أعطاه الله، وإن دعاه أجابه، فيصير مجاب الدعوة.

وقد كان كثير من الصحابة والتابعين معروفين بإجابة الدعوة، أكتفي بذكر الصحابي أنس بن النضر رضي الله عنه، كان إذا أقسم على الله أبرَّ قسمه.

يقول أنس بن مالك رضي الله عنه: كسرت الربيع بنت النضر ثنية جارية، فطلبوا الأرش (الأرش: هو الدية التي تدفع في الجراحات)، وطلبوا العفو، فأبوا، فأتوا النبي صلى الله عليه وسلم، فأمرهم بالقصاص، فقال أنس بن النضر: أتكسر ثنية الربيع يا رسول الله؟ لا والذي بعثك بالحق لا تُكسر ثنيتها، فقال صلى الله عليه وسلم: «يا أنس كتاب الله القصاص»، فرضي القومُ وعَفَوْا، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره». (البخاري: ٢٧٠٣).

السادسة: «ولئن استعاذني لأعيذنه»:

من أحبه الله أعاذه الله من كل شر ومكروه، وحسبنا قول الله تعالى حكاية عن امرأة عمران: « إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ » (آل عمران:٣٥، ٣٦)، فاستجاب الله لها ذلك، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما من مولود يولد إلا مسَّهُ الشيطان حين يولد، فيستهل صارخًا من مسه إلا مريم وابنها». يقول أبو هريرة: اقرؤوا إن شئتم: «وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ» (البخاري: ١٥٩/٨، ومسلم: ٢٢٤/٢).

فهذي بعض علامات محبة الرب سبحانه لعباده، فاعرض نفسك أخي عليها هل أنت منهم.

اللهم اجعلنا من أحبابك وأوليائك إنك سميع الدعاء.

الأسباب المعينة على الارتقاء بالمشاعر

إعداد **د. محمد إبراهيم الحمد**

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين، وبعدُ:

فهناك أسباب عديدة تُعين على إحياء المشاعر، والرقي بها، وتقطع دابر الجفاء، وتزيل علله وأدواءه.

ومما تحيا به المشاعر ما يلي:

١- استشعار الأخوة الإسلامية:

قال الله عز وجل: «إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ» (الحجرات: ١٠).

وقال صلى الله عليه وسلم: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب نفسه». (البخاري: ١٣، ومسلم: ٤٥).

والحديث في هذا السياق معلوم، ولذا لا يحتاج إلى التطويل.

وربما وردت إليه إشارات فيما سيأتي.

٢- استعمال الثناء الصادق المعتدل:

فذلك مما يُشعر الإنسان بقيمته، ويهزّه إلى المكارم هزًا؛ فيقوده إلى الصفح، والعفو، وإحسان الظن، والبذل.

كما أنه دليل على كرم سجية المادح، وعلى بُعده عن الأثرة والشّح، فهو من قبيل الكلمة الطيبة، والكلمة الطيبة صدقة.

ولا ريب أن هذه المعاني من أعظم ما يرتقي بالمشاعر، ويحفظ للناس أقدارهم، وينأى بهم عن السفاسف والمحقرات.

بل إن كرام الناس إذا مُدحُوا أبَتْ لهم همَمُهم أن يكونوا دون ما مُدحُوا به، فمن ذلك ما حُكي من أن هارون الرشيد لما سمع قول الشاعر:

تراه في الأمن في درع مُضاعفة
لا يأمَن الدهرَ أن يُدعى على عجلِ

فسأل هارون عنه وعمن قيل فيه، فقيل له: لمسلم بن الوليد الشاعر، في قائد الجيوش يزيد بن مزيد الشيباني، وكان يزيد يقول للرشيد: والله يا أمير المؤمنين، لأحرصنَّ على ألا أكذب شعرائي فيما يمدحونني به، فأمر الرشيد بإحضار يزيد على الحالة التي يُصادف عليها، فأحضروه وعليه ثياب خلوته مُلونة، فلما نظر إليه الرشيد في تلك الحالة قال: أكذبت شاعرك يا يزيد؛ قال: فيم يا أمير المؤمنين؟ قال في قوله:

تراه في الأمن في درع مُضاعفة
لا يأمَن الدهرَ أن يُدعى على عجلِ

فقال يزيد: لا والله يا أمير المؤمنين، ما أكذبته، وإن الدرع عليَّ ما فارقتني، وكشف ثيابه، وإذا عليه درع مظاهرة. (نوادر في الأدب لمحمد المكي بن الحسين ص٩٤).

بل إن الثناء الصادق مما تنشرح له صدور العظماء، ويشعرهم بصواب ما هم عليه، ويقودهم إلى مزيد من الخير والإحسان، ويسد عليهم باب الكسل الذي يواجههم به المخذلون، والمبالغون في النقد.

ولهذا سلكت هداية القرآن الكريم هذا المهيع، فكم هي الآيات التي ورد فيها الثناء من الرب الكريم- جل وعلا- على بعض عباده الصالحين؟ إنها كثيرة جدًا، منها قوله تعالى في الثناء على نوح عليه السلام: «ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا» (الإسراء: ٣).

وقوله تعالى في حق إبراهيم عليه السلام: «إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ» (هود: ٧٥).

وقوله: «إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ» (النحل: ١٢١).

وقوله تبارك وتعالى في حق سليمان عليه السلام: «وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ» (ص: ٣٠).

وقوله في حق أيوب عليه السلام: «إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا

نِعۡمَ ٱلۡعَبۡدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ » (ص: ٤٤).

وقوله في حق نبينا محمد صلى الله عليه وسلم: « وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ » (القلم: ٤).

أما السنة النبوية فحافلة في هذا المقام، ولو ألقيتَ نظرةً في دواوينها وكتب المناقب منها على وجه الخصوص لرأيت عجبًا، وإليك طرفًا من ذلك:

جاء في الصحيحين عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال: كان عليٌّ رضي الله عنه تخلف عن النبي صلى الله عليه وسلم في خيبر، وكان به رمد، فقال: أنا أتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فخرج عليٌّ فلحق بالنبي صلى الله عليه وسلم، فلما كان مساء الليلة التي فتحها في صباحها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لأعطينَّ الراية- أو قال ليأخذنَّ- غدًا رجلٌ يحبه الله ورسوله- أو قال: يحب الله ورسوله- يفتح الله عليه).

فإذا نحن بعليّ وما نرجوه، فقالوا: هذا عليٌّ، فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم، ففتح الله عليه.

وجاء في صحيح البخاري عن عمرو بن تغلب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أُتي بمال أو بسبي فقسمه، فأعطى رجالاً وترك رجالاً، فبلغه أن الذين ترك عتبوا، فحمد الله ثم أثنى عليه ثم قال: (أما بعد، فوالله إني لأعطي الرجل وأدع الرجل، والذي أدع أحب إلي من الذي أعطي، ولكن أعطي أقوامًا لما أرى في قلوبهم من الجزع والهلع، وأَكِلُ أقوامًا إلى ما جعل الله في قلوبهم من الغنى والخير، فيهم عمرو بن تغلب) قال عمرو بن تغلب: فوالله ما أحب أن لي بكلمة رسول الله صلى الله عليه وسلم حمر النعم. (البخاري: ٢٩٧٥، واللفظ له، ومسلم: ٢٤٠٧).

فانظر إلى هذا الثناء، وانظر إلى أثره في عمرو بن تغلب رضي الله عنه حتى استغنى أن يطلب مالاً، فكانت هذه الكلمة أحب إليه من حمر النعم، وهي أنفس ما كانت عند العرب.

وجاء في الصحيحين من حديث سالم بن عبد الله عن أبيه عبد الله رضي الله عنه قال: (كان الرجل في حياة النبي صلى الله عليه وسلم إذا رأى رؤيا قصَّها على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فتمنيتُ أن أرى رؤيا فأقصها على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكنتُ غلاماً شاباً، وكنتُ أنام في المسجد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فرأيت في النوم كأن ملكين أخذاني، فذهبا بي إلى النار، فإذا هي مطوية كطي البئر، وإذا لها قرنان، وإذا فيها أناس قد عرفتهم، فجعلتُ أقول: أعوذ بالله من النار، قال: فلقينا ملك آخر، فقال لي لم ترع. فقصصتُها على حفصة، فقصَّتها حفصة على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: (نعم الرجل عبد الله لو كان يصلي من الليل).

فكان عبد الله بعدُ لا ينام من الليل إلا قليلاً. (البخاري: ١١٢١، ١١٢٢، ومسلم: ٢٤٧٩).

وجاء في الصحيحين من حديث أسماء بنت عميس الطويل في الهجرة وما دار بينها وبين عمر بن الخطاب، وفيه: فلما جاء النبي صلى الله عليه وسلم قلتُ: يا نبي الله، إن عمر قال كذا وكذا، قال: (فما قلت له؟) قالت: قلتُ له كذا وكذا. قال: (ليس بأحَق بي منكم، وله ولأصحابه هجرة واحدة، ولكم أنتم- أهل السفينة- هجرتان). قالت: فلقد رأيتُ أبا موسى وأصحاب السفينة يأتونني أرسالاً يسألونني عن هذا الحديث، ما من الدنيا شيء هم به أفرح ولا أعظم في أنفسهم مما قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم. قال أبو بردة: قالت أسماء: فلقد رأيتُ أبا موسى وإنه ليستعيدُ هذا الحديث مني. (البخاري: ٤٢٣٠، ٤٢٣١، ومسلم: ٢٥٠٢).

وجاء في الصحيحين عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: (إني لأعرف أصوات رُفقة الأشعريين بالقرآن حين يدخلون بالليل، وأعرف منازلهم من أصواتهم بالقرآن بالليل وإن كنتُ لم أرَ منازلهم حين نزلوا بالنهار). فهذه أمثلة يسيرة من السُّنَّة، والمقام لا يحتمل الإطالة في ذلك، وإنما هي إشارات يتبين من خلالها أن الثناء الصادق سُنَّة متَّبعة، وأن له آثاره الحميدة.

وللحديث بقية إن شاء الله تعالى.

إعلام العباد بمن لا تأكله الأرض من الأجساد

الحلقة الثالثة

إعداد/ المستشار أحمد السيد علي إبراهيم

الحمد لله حمدًا لا ينفد، أفضل ما ينبغي أن يُحمَد، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه ومن تعبّد.

أما بعدُ: فنواصل حديثنا حول إعلام العباد بمن لا تأكله الأرض من الأجساد، فنقول وبالله تعالى التوفيق:

الفرع الخامس: أدلة عدم تحلل أجساد بعض الصالحين:

ومع أن الله سبحانه وتعالى قد سبب الأسباب، ورتب عليها النتائج، إلا أنه قد يعطلها، وما ذلك عليه بعزيز، فالكون كونه، والخلق خلقه، يتحكم فيهما كيف يشاء، فقد سن الله الفناء والتحلل على أجساد البشر، لحكمة أرادها، إلا أنه استثنى منهم الأنبياء، وبعض عباده الصالحين، فحفظ أجسادهم من الفناء والتحلل، ليري عباده من الآيات في الآفاق، وفي أنفسهم، ما يتبين به الحق من الباطل، فالواجب على كل مسلم التسليم بقدرته سبحانه وتعالى.

وقد تواترت الأدلة على تلك القدرة الباهرة، وليس أدل على ذلك مما جاء بقصة الفتية أصحاب الكهف والرقيم، التي قال عنها الحق سبحانه وتعالى لنبيه عليه السلام: «أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا» (الكهف: ٩).

قال العلامة السعدى رحمه الله في «تيسير الكريم الرحمن»: «أي لا تظن أن قصة أصحاب الكهف وما جرى لهم غريبة على آيات الله وبديعة في حكمته، وأنه لا نظير لها، ولا مجانس لها، بل لله تعالى من الآيات العجيبة والغريبة ما هو كثير من جنس آياته في أصحاب الكهف، وأعظم منها، وليس المراد بهذا النفي عن أن تكون قصة أصحاب الكهف من العجائب، بل هي من آيات الله العجيبة، وإنما المراد أن جنسها كثير جدًا، فالوقوف معها وحدها في مقام العجب والاستغراب نقص في العلم والعقل، بل وظيفة المؤمن التفكر بجميع آيات الله والتي دعا الله العباد إلى التفكر فيها، فإنها مفتاح الإيمان وطريق العلم واليقين». اهـ.

فقد عطل الله سبحانه وتعالى الأسباب الكونية في النوم، لهؤلاء الفتية.

كما تواترت الأدلة النقلية، والعقلية على عدم تحلل بعض أجساد الشهداء، والصالحين، من الأمم السابقة على بعثة النبي صلى الله عليه وسلم، ومن أمته صلى الله عليه وسلم، ومنها الأمثلة الآتية:

الأول: عدم تحلل أجساد بعض الأولياء من الأمم السابقة:

ووردت فى سنة النبي صلى الله عليه وسلم من حديث صهيبٍ بنْ سنان رضى الله عنه فيها قال: يقولُ الله تبارَكَ وتعالى فيه: قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ حتَّى بلَغَ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ قَالَ: فأمَّا الغُلامُ فإنَّهُ دُفِنَ قالَ: فَيذكرُ أنَّهُ أُخْرِجَ في زمنِ عُمرَ بنِ الخطَّابِ وأُصبعُهُ علَى صدغِه كما وَضعَها حينَ قُتِلَ» (رواه الترمذي وصححه الألباني).

فرواية الترمذي تدل على أن الغلام دفن وأخرج في زمان عمر، وبين دفنه، وإخراجه مدة طويلة.

الثاني: عدم تحلل أجساد بعض الأولياء من أمة النبي محمد صلى الله عليه وسلم:

ومن ذلك الأمثلة الآتية:

أولا: شهداء أحد ومنهم:

١- حمزة بن عبد المطلب:

قال القرطبي رحمه الله في « التذكرة »: «وروى نقلة الأخبار: أن معاوية رحمه الله لما أجرى العين التي استنبطها بالمدينة في وسط المقبرة وأمر الناس بتحويل موتاهم وذلك في أيام خلافته وبعد الجماعة بأعوام وذلك بعد أحد بنحو من خمسين سنة فوجدوا على حالهم حتى أن الكل رأوا المسحاة وقد أصابت قدم حمزة بن عبد المطلب فسال منه الدم وأن جابر بن عبد الله أخرج أباه عبد الله بن حرام كأنما دفن بالأمس وهذا أشهر في الشهداء من أن يحتاج فيه إلى إكثار» اهـ.

٢- عبد الله بن عمرو بن حرام:

عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قالِ: «لما حضر أُحُدٌ دعاني أبي منَ الليلِ، فقال: ما أراني إلا مَقْتولاً في أوَّلِ مَنٍ يُقْتَلُ منَ أصحابِ النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم، وإنيَ لا أترُكُ بعدي أعزَّ عليَّ منكَ غيرَ نفسِ رسول الله صلى الله عليه وسلَّم، فإنَّ عليَّ دَيْنًا، فاقضِ، واستَوصِ بإخوَتكَ خيرًا، فأصبَحْنا، فكانَ أوَّلَ قَتيلٍ، ودُفِنَ معه آخَرُ في قبرٍ، ثم لم تَطِبْ نَفْسي أَنْ أترُكَهُ مع الآخرِ، فاستَخْرجتُه بعدَ ستَّةِ أشهُرٍ، فإذا هو كيوم وَضعتُه هُنَيَّةً، غيرَ أُذُنه» (رواه البخاري) وفي رواية: «فَمَا أَنْكَرْتُ مِنْهُ شَيْئًا إلاَّ شُعَيْرَاتٍ كُنَّ فِي لِحْيَتِه مِمَّا يَلِى الأَرْضَ» (رواها أبو داود وصححها الألباني).

عدم تحلل أجساد شهداء أحد بعد مرور ١٤٠٠ سنة:

ذكر بعض الدعاة نقلا عن الشيخ/محمود الصواف الحادثة العظيمة التي تشرف بها بعض العلماء في إعادة دفن بعض الصحابة، من شهداء أحد وكيف أنهم شاهدوا الصحابة رضوان الله عليهم بعد مضي ١٤٠٠ سنة من استشهادهم رضوان الله عليهم وكيف أن أجسادهم باقية كما هي لم تتغير ولم تتعفن ولم تتحلل. فقال: «وقد حدثنا الشيخ محمود الصواف رحمه الله انه دُعي فِيمن دُعي من كبار العلماء لإعادة دفن شهداء أُحُد من الصحابة رضي الله عنهم في مقبرة شهداء أحد، مقبرة معروفه أصابها سيل، فانكشفت الجثث فدعي مجموعه من كبار العلماء لإعادة دفن هؤلاء الصحابة، ويحدثنا الشيخ محمود الصواف أنه حضر ذلك بنفسه فيقول: ممن دفنت؛ دفنت حمزة رضي الله عنه فيقول ضخم الجثة مقطوع الأنف والأذنين بطنه مشقوق، وقد وضع يده على بطنه فيقول: فلما حركناه ورفعنا يده سال الدم، ويقول: دفنته مع من دفنت من صِحابة النبي صلى الله عليه وسلم من شهداء أُحُد».

وأضاف قائلاً: «فهذا أمر ثابت بالتواتر وبرؤية العين، بلغنا الله وإياكم مكانة الشهداء وقد حدثنا أي (الشيخ) عن ريح المسك التي فاحت لما سال الدم» (أي من جسد حمزة رضي الله عنه)» اهـ.

٣- عمر بن الخطاب رضى الله عنه:

عن عروة بن الزبيرِ رضى الله عنه قال: «لما سقطَ عليهمُ الحائطُ (حائط حجرة عائشة رضي الله عنها) في زمانِ الوليد بنِ عبد الملك، أخذوا في بنائه، فبدتّ لهم قَدَمٌ، ففزعوا، وظنوا أنها قَدَمُ النبيِّ صلى الله عليه وسلم، فما وجدوا أحدًا يعلمُ ذلك، حتى قال لهم عُرْوَةُ: لا والله، ما هي قَدَمُ النبيِّ صلى الله عليه وسلم، ما هي إلا قَدَمُ عمرَ رضي الله عنه» (رواه البخاري).

هذا آخر ما قصدنا إختصاره

والحمد لله رب العالمين.

نظرات في كتاب:

«رسالة إلى أهل الثغر»

لأبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري

(٢٦٠ هـ- ٣٢٤ هـ)

الحلقة (٢)

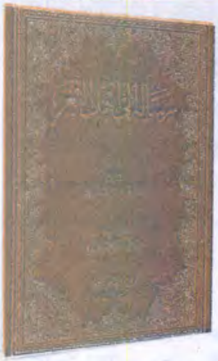

إعداد: محمد عبد العزيز

الحمد لله كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، وصلاة وسلامًا على نبيه المصطفى ورسوله المجتبى محمد صلى الله عليه وسلم، وبعد:

فهذا هو المقال الثاني في هذه النظرات في كتاب: رسالة إلى أهل الثغر بباب الأبواب، للإمام أبي الحسن الأشعري- رحمه الله تعالى- وقد ذكرنا في المقال الأول ثلاث مقدمات:

الأولى: مقدمة تمهيدية عن أهمية تحقيق التوحيد، وتصحيح الاعتقاد.

الثانية: بيان أهمية كتاب: رسالة إلى أهل الثغر بباب الأبواب.

الثالثة: ترجمة موجزة عن الشيخ أبي الحسن الأشعري، وبيان تقلبه بين ثلاثة أحوال اعتقادية آخرها رجوعه إلى مذهب أهل السنة في الجملة.

وأتناول في هذا المقال تتمة للمقال الأول، ثم أبدأ في مقصد المقال: نظرات في كتاب: "رسالة إلى أهل الثغر"، وأذكر فيها على وجه الإيجاز:

ـ موضوع هذا الكتاب.

ـ ملاحظات حول بعض القضايا العقدية التي ذكرها الشيخ أبو الحسن الأشعري.

ـ توثيق نسبة الكتاب لمصنِّفه.

ـ طبعات الكتاب.

أولا: تتمة للمقال الأول:

١ ـ وفاة أبي الحسن الأشعري، وثناء العلماء عليه:

توفي رحمه الله تعالى ببغداد سنة: أربع وعشرين وثلاثمائة (٣٢٤ هـ)، وقيل: سنة نيَف وثلاثين وثلاثمائة (٣٣١ هـ).

قال الأستاذ أبو إسحاق الإسفراييني: "كنت في جنب أبي الحسن الباهلي كقطرة في البحر، وسمعت الباهلي يقول: كنت أنا في جنب الأشعري رحمه الله كقطرة في جنب البحر".

وعن ابن الباقلاني قال: "أفضل أحوالي أن أفهم كلام أبي الحسن الأشعري".

وقال بندار خادم الأشعري: "كانت غلة أبي الحسن من ضيعة وقفها جدهم بلال بن أبي بردة على عقبه، فكانت نفقته في السنة سبعة عشر درهما".

وقال أبو بكر ابن الصيرفي: "كانت المعتزلة قد رفعوا رؤوسهم حتى أظهر الله الأشعري فجحرهم في أقماع السمسم".

٢ ـ آثار أبي الحسن الأشعري العلمية:

ترك أبو الحسن الأشعري تراثًا علميًا كبيرًا ذكر ابن حزم منه خمسة وخمسين مؤلَّفًا، لكن قال ابن عساكر في تبيين كذب المفتري (ص ٩٢): «ذكر أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي أن أبا الحسن الأشعري له خمسة وخمسون تصنيفًا، وقد ترك ابن حزم من عدد مصنفاته أكثر من مقدار النصف وذكرها أبو بكر بن فورك مسماة تزيد على الضعف».

والكتب التي ذكرها ابن فورك نقل تسميتها من كتاب العمد في الرؤية للشيخ أبي الحسن الشعري فقد ذكر فيه أسماء كتبه إلى سنة عشرين وثلاثمائة، وعقب عليها بذكر باقي مصنفاته التي صنفت ما بين سنة: ٣٢٠ هـ، وسنة: ٣٢٤ هـ سنة وفاة أبي الحسن الأشعري، وقد زاد عليها ابن عساكر ثلاثة من المصنفات.

وقد عدت منها الدكتورة فوقية حسين في القسم الدراسي من تحقيقها لكتاب الإبانة (من ص ٤١

إلى ص ٩٢) مائة واثنين من المصنفات، وذكر منها الدكتور: عبد الله شاكر في القسم الدراسي من تحقيقه لكتاب رسالة لأهل الثغر (من ص ٤٧ إلى ص ٩٩) ثمانية وتسعين مصنفًا.

وجمهور هذه الكتب ليس بين أيدينا منه شيء سوى سبعة من الكتب كلها مطبوع، وهي:

١ ـ العمد في الرؤية، جزء منه منشور في كتاب: تبيين كذب المفتري، لابن عساكر.

٢ ـ اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع، نشره مكارثي اليسوعي في بيروت ١٩٥٣م في كتابه: مذهب الأشعري الكلامي، وحمودة غرابة في مكتبة الخانجي، القاهرة ١٩٥٥م.

٣ ـ استحسان الخوض في علم الكلام، نشر بحيدر آباد ١٣٢٣هـ، ونشره مكارثي ملحقًا بكتاب اللمع ١٩٥٣م، ولا تصح نسبة هذا الكتاب إليه؛ كما حققت ذلك الدكتورة: فوقية حسين.

٤ ـ مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، نشره: هلموت ريتر الناشر: دار فرانز شتايز، بمدينة فيسبادن، ألمانيا ١٩٣٠م، وله نشرة أخرى بإسطنبول ـ تركيا في نفس العام، ونشره: محيي الدين عبد الحميد، القاهرة ١٩٥٠م، ونعيم زرزور، الناشر: المكتبة العصرية، ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م.

٥ ـ الإبانة عن أصول الديانة، تحقيق: د. فوقية حسين محمود، الناشر: دار الأنصار – القاهرة، ١٣٩٧هـ ـ ١٩٧٧ م، وهي رسالة علمية محكمة.

٦ ـ رسالة الإيمان، حققها ونشرها مع ترجمة ألمانية: المستشرق شبيتا في ليبسج ١٨٧٦م.

وقد صنف هذا الكتاب حينما سئل عن الإيمان مخلوق أم لا؟ فأجاب بأن هذا السؤال بدعة، وهو جواب مأثور عن الإمام أحمد، ولهذا الكتاب نسخة خطية بدار الكتب المصرية تحت رقم: ٢ مجاميع ميكروفلم ٤٩٥٦، ٢٦ ومجاميع ميكروفلم ٤٥٤٢ (ينظر القسم الدراسي من كتاب: الإبانة ص٨٧).

٧ ـ رسالة إلى أهل الثغر، وهي التي لأجلها كانت هذه النظرات.

ثانيًا: نظرات في كتاب: رسالة إلى أهل الثغر بباب الأبواب:

١ ـ موضوع هذا الكتاب:

سبق أن هذه الرسالة المهمة كتبها رحمه الله تعالى إجابة لأسئلة وردت إليه من أهل الثغر، يسألونه فيها عن:

ـ الأصول التي كان عليه سلفنا الصالح، التي تمسكوا فيها بالوحيين: الكتاب والسنة.

ـ ذكر مَن اتبعهم من الخلف الصالح على ذلك مخالفين للبدع التي أحدثها بعض الخوالف خارجة عن هذا النهج، فأجابهم إلى ما طلبوا ذاكرًا لهم بعض الحجج على ما يقول.

وكما يتبين من مقدمة الرسالة أنها ليست الرسالة الأولى التي يكتبها لهم، بل سبقتها رسالة أخرى قبلها بعام.

وسبق أن الثغر: حصن بباب الأبواب، يقع في الطرف الشرقي من القوقاز في دربند الفارسية، ويعرف الآن باسم: الباب الحديدي، أو باب الحديد.

وقد قسم المصنف رحمه الله تعالى كتابه إلى بابين: الباب الأول: ذكر فيه مبعث الرسول صلى الله عليه وسلم، واثبات وجود الله، وحدوث العالم، وإثبات وحدانية الله تعالى، واثبات صفاته، وذكر البعث والحساب، واثبات نبوة النبي صلى الله عليه وسلم وعموم رسالته للثقلين، وذكر معجزاته المعنوية والحسية، ثم ذكر أنه صلى الله عليه وسلم لم يترك شيئًا من أمر هذا الدين يحتاج لبيان إلا بيَّنه، ثم بيَّن أن طريقة الوحيين في إثبات وجود الله وحدوث العالم هي الصواب، ولا يمكن لأحد أن يأتي بأهدى منها، وأن طريقة الفلاسفة من القول بالجوهر والعرض فيها من الخفاء والغموض ما يجعلها عاجزة عن الحجَاج، وأنها مخالفة لطريقة الأنبياء والمرسلين، ولذا أعرَض عنها سلف هذه الأمة.

ثم بيَّن أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يُقبَض إلا بعد إرسائه لقواعد هذا الدين، ولذلك اجتهد سلف هذه الأمة في جمع سُنته والتفتيش في الأخبار حتى يثلج الصدر بمعرفة صحتها، وبيَّن حفظ الله تعالى لكتابه، وأنه أكمل هذا الدين فلا يحتاج بعد كماله إلى غيره.

الباب الثاني: ذكر فيه واحدًا وخمسين إجماعًا

للسلف في قضايا الاعتقاد، قال رحمه الله تعالى (ص ٢١٤): «باب ذكر ما أجمع عليه السلف من الأصول التي نبَّهوا بالأدلة عليها وأمروا في وقت النبي صلى الله عليه وسلم بها» ثم ساقها.

وهذه الإجماعات تدور حول إثبات حدوث العالم، وإثبات الأسماء والصفات سواء كانت صفات ذات كإثبات صفة الكلام والسمع والبصر وإثبات اليد، أو كانت صفات أفعال اختيارية كالاستواء على العرش والنزول والمجيء وقبض السماوات بيمينه يوم القيامة، وأن علم الله تعالى محيط، وأن جميع أفعال العباد مخلوقة لله تعالى، وأن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة، وأنه لا يخرج شيء من ملكه عن علمه وإرادته، وأن الله تعالى أقدر المؤمنين بقدرة سابقة عن الفعل، وأن الإيمان يزيد وينقص، وأن المؤمن لا يخرج بمعصية فعلها عن الإيمان، وذكر الإيمان بالمغيبات كسؤال القبر وفتنته ونعيمه وعذابه، والصور والنفخ فيه، والجزاء والحساب والموازين، والصراط، وشفاعة النبي صلى الله عليه وسلم لأهل الكبائر، والإيمان بالحوض، والإسراء والمعراج، ووجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ووجوب طاعة السلطان في المعروف وحرمة الخروج عليه، وبيان أن خير القرون قرن الصحابة، وأنهم كلهم عدول، وأن خلافة الراشدين صحيحة وواقعة، وذكر وجوب ذكر الأصحاب بالخير والكف عن ذكرهم بسوء، ونص على إجماع السلف على ذم المبتدعة والتبري منهم، ووجوب النصح للمسلمين...، وقد لخص محقق الكتاب د. عبد الله شاكر هذه الإجماعات في القسم الدراسي من الكتاب.

- ملاحظات حول بعض القضايا العقدية التي ذكرها الشيخ أبو الحسن الأشعري:

الشيخ أبو الحسن الأشعري في مجمل ما ساقه في هذا الكتاب على عقيدة أهل السنة والجماعة، وإن كان ينتقد عليه نقدات منها:

- رده لصفتي الرضا والغضب لصفة الإرادة، قال في الإجماع التاسع: «وأجمعوا على أنه عز وجل يرضى عن الطائعين له، وأن رضاه عنهم إرادته لنعيمهم، وأنه يحب التوابين ويسخط على الكافرين ويغضب عليهم، وأن غضبه إرادته لعذابهم».

وإرادة الإنعام شيء والرضا شيء آخر، وإرادة العذاب شيء والسخط شيء آخر، ورد الصفات الاختيارية لصفة الإرادة هو فعل المتأخرين.

- استعماله لألفاظ الجسم، والعرض، والجوهر، ونفيها عن الله، وهذه الألفاظ مجملة، ولم يستعملها السلف، وتحمل حقًا وباطلًا، فلا يصح فيها الإثبات المجمل، ولا النفي المجمل، لكن يسأل عن معناها فإن تضمن حقًا قُبل، وإن تضمَّن باطلًا رُدَّ على صاحبه.

- تعريفه للظلم بتعريف الجبرية، وهو عندهم أحد أمرين:

إما التصرف في ملك الغير، وكل ما سوى الله ملك له فيتصرف فيه بما يشاء.

وإما مخالفة الأمر الذي تجب طاعته، وليس فوق الله تعالى آمر يجب على الله طاعته.

والظلم عند أهل السنة: وضع الشيء في غير موضعه، والعدل وضع الشيء في موضعه.

قال في الإجماع الثامن عشر: «لأنه عز وجل ملك لجميع ذلك فيهم غير محتاج في فعله إلى تمليك غيره له ذلك، حتى يكون جائرًا فيه قبل تملكه، بل هو تعالى في فعل جميع ذلك عادل له وله مالك يفعل ما يشاء، كما قال عز وجل: «فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ» (البروج:١٢)».

- توثيق نسبة الكتاب لأبي الحسن الأشعري:

نسبة الكتاب لمصنِّفه تُعرَف بأشياء منها:

- نسبة أهل العلم الكتاب لصاحبه، ومنها النقل منه مع نسبته لصاحبه، ومنها نسبته على النسخ المخطوطة للمصنف، ومنها الشهرة والاستفاضة، ومنها مماثلة ما فيها للمنهج العلمي للمصنف في كتبه الأخرى.

وهذه الأمور الخمسة متوفرة في هذا الكتاب:

- فقد نسبه له ابن عساكر في كتابه: تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري، وهو من أقدم من أفرده بترجمة محاميًا عنه، فهو من أعرف الناس به، قال في (ص ١٣٦): «وجواب مسائل كتب بها إلى أهل الثغر في تبيين ما سألوه عنه من مذهب أهل الحق».

و ذكرها فؤاد سزكين في تاريخ التراث العربي (٢/٣٧٦) ضمن مؤلفات الأشعري.

- وقد نقل منه شيخ الإسلام ابن تيمية ما يقرب

من نصفه في كتابه: درء تعارض العقل والنقل (٧ /من ص ١٨٦ إلى ص ٢١٩).

- ونسختاه الخطيتان تنسبانه له على طرة الكتاب.

- وهو مشتهر النسبة له حتى قال ابن القيم في نونيته: من موجز وإبانة ومقالة... ورسائل للثغر ذات بيان

- وهو في هذا الكتاب لا يخرج في فهرس موضوعاته غالبًا عن موضوع كتابيه: اللمع، والإبانة.

على أن بعض الباحثين ينفي هذه النسبة لأمرين:

الأول: أنه قال في أول هذه الرسالة: «ووقفت أيدكم الله على ما ذكرتموه من إحمادكم جوابي عن المسائل التي كنتم أنفذتموها إلي في العام الماضي، وهو سنة سبع وستين ومائتين».

ففيه أنهم أنفذوا له كتابًا سنة: ٢٦٧ هـ، فيكون قد ألف هذا الكتاب سنة: ٢٦٨ هـ، وهذا لا يمكن لأنه يكون له من العمر حينئذ ثماني سنوات، وهذا أقوى ما تعلقوا به من قول، وهذا يعني أحد أمرين:

الأول: خطأ التاريخ المكتوب أو تحريفه.

الآخر: عدم صحة نسبة الرسالة لمصنفها.

و ترجيح الأمر الأول أولى لأنه قد يقع كثيرًا، بعكس الأمر الثاني فإنه يلزم منه تخطئة إزالة الأدلة الخمسة السابقة رأسًا.

الثاني: نسب بعض الباحثين الكتاب لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن مجاهد صاحب الأشعري، لأنه في بعض المشيخات والفهارس نسب له رسالة بعنوان: رسالة في عقود أهل السنة، أو رسالة لأهل الثغر بباب الأبواب.

وهذا الذي قال فيه كبير نظر لأمرين:

الأول: أنه لا منافاة بين أن يكون لابن مجاهد رسالة لأهل الثغر، مع ثبوت رسالة لأبي الحسن الأشعري لهم.

الآخر: أن رسالة أبي الحسن بنسخها الخطية والنقل عنها معلومة لنا، بعكس الرسالة المنسوبة لابن مجاهد.

طبعات الكتاب:

للكتاب ثلاث طبعات مشهورة:

الأولى: نشرة قوام الدين في مجلة الإلهيات بإسطنبول عدد:٧ ص ١٥٤ وما بعدها، وعدد: ٨: ٥٠ وما بعدها.

على نسخة خطية واحدة محفوظة بريفان كوشيك ٥١٠/١٠، وهي مصورة بجامعة الدول العربية، وهي النشرة الأولى لهذا الكتاب.

الثانية: بتحقيق: الدكتور محمد السيد الجليند، وقد اعتمد النسخة الخطية التي اعتمدها قوام الدين، وقد نشرتها: دار اللواء، الرياض ١٤١٠ هـ - ١٩٨٩ م، وطبعتها المكتبة الأزهرية للتراث ١٤١٠هـ - ١٩٩٧م وصورت عدة مرات، واعتمد ما نقله شيخ الإسلام ابن تيمية من الكتاب في كتابه: درء تعارض العقل والنقل كنسخة ثانوية.

الثالثة: بتحقيق الدكتور: عبد الله شاكر الجنيدي، وقد حققه على نسختين خطيتين، وهما: نسخة بريفان كوشيك التي اعتمد عليها قوام الدين، ونسخة الجامعة العثمانية بالهند تحت رقم: ٤١ / ٢٩٧، وناسخها أحمد سعيد، وقد جعل هذه النسخة أصلاً لدقتها ووضوح خطها، وقلة أخطائها، بالإضافة لاعتماده ما نقله شيخ الإسلام ابن تيمية من الكتاب في كتابه: درء تعارض العقل والنقل كنسخة ثانوية.

وقد قدم له بمقدمة دراسية كاشفة عن المصنِّف، والمصنَّف، وعلَّق على الكتاب تعليقًا جيدًا يزيل إشكاليته، وصنع للكتاب أربع فهارس علمية، بالإضافة لثبت المراجع، وهي رسالة علمية محكمة نال بها المحقق درجة الماجستير، فهي أجود الطبعات، وقد طبعتها الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ثلاث طبعات، وقدم له فيها مدير الجامعة الإسلامية، فضيلة الشيخ الدكتور: صالح بن عبد الله العبود، وطبعت بمكتبة العلوم والحكم، بالمدينة المنورة طبعتان، الطبعة الثانية ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م بتقديم فضيلة الشيخ العلامة: حماد بن محمد الأنصاري الأستاذ بقسم الدراسات العليا بالجامعة.

هذا آخر ما وفقني الله لجمعه؛ فإن يك خيرًا فالحمد لله، وإن تكن الأخرى فأستغفر الله.

التوحيد
أوسع المجلات
الإسلامية انتشاراً في العالم
٤٦ مجلدة
اطلبوها من باعة الصحف والمكتبات
٨ شارع قولة - عابدين ت: ٢٣٩٣٦٥١٧ - ٢٣٩١٥٤٥٦

ثمن الكرتونة

١٠٥٠ جنيه

مجلدات التوحيد مكتبة علمية .. تحتاج إليها

المكتبة الإسلامية

المكتبة العامة

مكتبتك الخاصة

الأسرة المسلمة

لا يستغني عنها بيت مسلم

- الموسوعة العلمية والمكتبة الإسلامية في شتى العلوم من مجلة التوحيد
- أكثر من ٨٠٠٠ بحث في كل العلوم الشرعية داخل مجلدات التوحيد
- كتابات وأبحاث وإنتاج فكري لمشايخ وعلماء ودعاة من مصر والعالم الإسلامي

للاستفسار.. يرجى الاتصال
بقسم الاشتراكات بمجلة التوحيد

☎ 23936517

تمور الطحان ®
أصالة الزمان
جئنا لنتفوق ..
وعليك أن تتذوق
حاصلة على شهادة
ISO 22000
Safety Seal
تمور الطحان
أصالة الزمان
عسل التمر
DATES HONEY
طبيعي ١٠٠ ٪
بكل فخر صنع في
مصر
علامة الجودة
www.altahhandates.com

خدمة العملاء
01284447778
01128911113

(+2) 01067717725
Altahhan.goldendates

محافظة الوادي الجديد

قلعة صناعة التمور فى مصر